الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

حجاجية الاستفهام في لغة القرآن الكريم

- سورة الأنبياء أنموذجا-

مذكرة تخرّج معدّة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص : علوم اللسان.

إعداد الطالبتين:

- ✓ قلاب ذبيح خديجة
- ✓ نسيب فاطمة

إشراف الدكتور:

- محمد بن عبد الواحد

الموسم الجامعي: 1437-1438هـ / 2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

«هَا أَنْتُم هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُم فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تحاجون فيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ والله يعلم وأنتم لاتعلمون»

(آل عمران 66)

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم.

نحمده حمد العارفين بنعمه، والشاكرين لفضله، فهو صاحب الفضل والإحسان والتوفيق والامتنان

ولا نملك إلاّ أنْ نسجد لله شكرا على ما حبانا به من سداد وفلاح، ونصلي ونسلّم على سيدنا

محمد وبعد...

يقول الله تعالى:(لئن شكرتم لأزيدنكم) ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يشكر الله من لا

يشكر الناس).

وعرفانا بالجميل الذي طوق أعناقنا، فإنّنا نتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان لله العلي القدير

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور **"محمد بن عبد الواحد"**

على مساندته لنا و حثه لنا على الجد و المثابرة، فله منا كل الشكر و الامتنان.

مـــــقدمة

مقدمة:

للنص القرآني حضور قوي في مختلف الدراسات العربية بمختلف ميادينها- شرعية أو لغوية- ولا غرابة في ذلك فهو الحدث الأكبر في الكون، فاهتمت الأمة به و صرفت معظم جهدها لدراسته، ولا يمكن ذلك حكرا على تخصص دون أخر، لأن كل العلوم كانت منبثة منه، و عليه فمن الطبيعي أن تعود إليه بالدراسة.

- وما يهمنا من كل هذه العلوم تلك التي اختصت بتحليل الجانب الدلالي و التداولي للخطاب القرآني و في مقدمتها علم التفسير الذي تخصص في شرح معانيه من زوايا مختلفة و متنوعة، فغلب الجانب اللغوي و البلاغي على بعضها، و الجانب التشريعي على بعضها الأخر.

الدراسات البلاغية و الإعجازية تركز على معالجة بناء النص القرآني، و طرائق الصياغة، و استخراج خصائصه البنائية و الدلالية و تعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت ما يعرف **"البلاغة الجديدة"** حيث ركزت على جانبين اثنين:

البيان و الحجاج كوسيلة أساسية من وسائل الاقناع، و لذلك يمكننا اعتبار النص القرآني خطابا حجاجيا له و إنه جاء ردا على خطابات تعتمد عقائد و مناهج فاسدة، و هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه المعجز المنزل على سيدنا محمد (ص).

فالخصوصية الجوهرية (الاستمالة - التأثير-الإقناع) التي توفر عليها القران الكريم جعلت منه خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى و من وسائل الحجاج في القران الكريم انطلاقا من أن الحجة هي ما يراد به إقناع المخاطب، و التأثير في موقفه و سلوكه (القسم، التحليل، الاستفهام)، هذا الأخير له أهميته بالغة في اللغة العربية، وتكمن أهميته في الدور الذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر و وظيفته البليغة و الحجاجية، لذا يطمح هذا البحث لدراسة (حجاجيه الاستفهام في لغة القران الكريم في الكشف عن الأليات التي وظفها القران للإقناع و عليه جاءت الدراسة موسومة ب "(حجاجيه الاستفهام في لغة القران الكريم) ، سورة الأنبياء أنموذجا".

و قد تطلبت طبيعة البحث اتباع المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية إضافة إلى المنهج الوصفي في بيان الأليات و الأساليب الحجاجية في القران الكريم.

- أما سبب اختيارنا لهذا الموضوع فتكمن فيما يلي:

1) قلة الدراسات المتعلقة بالحجاج.

2) أهمية موضوع الحجاج كونه موظف في جميع أنواع الخطاب.

3) الرغبة في التعرف على أهم مفاهيم الدرس الحجاجي.

4) التعرف على أسلوب الاستفهام الموظف في القران الكريم بغرض التأثير و الاقناع و الاستمالة.

5) تم اختيار " سورة الأنبياء" لاشتمالتها على صور للحجاج، كذلك على الاستفهام.

6) محاولة التعريف بالنظريات الحجاجية الحديثة.

و بناء على ذلك حاولنا في هذا البحث الإجابة على الإشكاليات التالية:

- ما هو الحجاج لغة واصطلاحا ؟ - كيف تطور مفهوم الحجاج مع تطور الدراسات الحديثة سواء العربية أو الغربية ؟

- ما هو الاستفهام لغة واصطلاحا ؟ ماهي أدواته و غاياته ؟

- ما هي صيغ وألفاظ حجاجية الاستفهام في القران الكريم ؟

- و للاجابة عن تلك الإشكاليات وضعنا خطة قوامها مقدمة، و مدخل ثم فصلين، و خاتمة.

أما المدخل تناولنا فيه بيان أهمية اللغة العربية، و أهم مصادرها مع التركيز على لغة القران الكريم و ربطه بالحجاج و الاستفهام.

و جاء الفصل الأول: موسوما ب " **حجاجيه الاستفهام في القران الكريم**" و من خلاله قمنا بتعريف أسلوب الحجاج (لغة – اصطلاحا) ثم تطرقنا إلى الدراسات العربية و الغربية التي كانت مهدا للنظرية الحجاجية، و كيفية تطور التصور لتقديم للحجاج مع تطور الدراسات الحديثة سواء العربية أو الغربية، و تم تعريف الاستفهام و أدواته و غاياته و أهميته.

في حين عنونا الفصل الثاني:" **حجاجيه الاستفهام في لغة القران الكريم**" و أفردناه لتطبيق الألية الحجاجية على السورة الكريمة الا و هي الاستفهام.

و أخيرا ختمنا البحث بخاتمة أوجزنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

- و لقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع والتي كان يتصدرها القران الكريم بالإضافة إلى "الحجاج في القران الكريم" لعبد الله صولة، اللغة و الحجاج" لأبي بكر العزاوي.

1. بالإضافة إلى كتب تراثية ك " **لسان العرب**" "**لابن منظور**"، " **البيان و التبيين للجاحظ**" و مجموعة من التفاسير، "**كتفسير ابن كثير**" و "**تفسير السيوطي**" و "**تفسير القرطبي**"، إضافة الى مجموعة من المقالات، خاصة مجلة " البيان الحجاجي في اعجاز القران الكريم، سورة الانبياء انمودجا، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد102"

- و كان من الطبيعي أن تعترضنا بعض الصعوبات و العراقيل في مسيرتنا البحثية وتتمثل هذه الصعوبات في:

1) قلة المراجع المتخصصة و ذلك نظرا لحداثة الدرس الحجاجي.

2) الخلاف و التباين في المصطلحات من باحث إلى أخر، و عدم الاتفاق على رؤيا واحدة و هذا راجع إلى اختلاف الترجمات.

3) تداخل موضوع الحجاج مع معارف أخرى (الفلسفة، التاريخ...).

4) الحادثة التي ألمت بنا وهي وفاة أخي رحمه الله.

و يعود الفضل الكبير في انجاز هذا البحث إلى أستاذنا المشرف: "بن عبد الواحد محمد" الذي يسر علينا كل ما تعسر بملاحظاته و توجيهاته السديدة، فله منا كل الامتنان و الشكر.

و أخيرا نرجو أننا قد حققنا و لو قليلا مما كنا نصبو إليه من خلال هذه الدراسة الخاصة بالحجاج فما كان من صواب فيها فمن الله وما كان من زلل فمن أنفسنا و من الشيطان .

بتاريخ 2017/09/19

الطالبتان: قلاب ذبيح خديجة و نسيب فاطمة

مـــدخل تمهيدي

أولا: تعريف القران الكريم

ثانيا: تعريف الاستفهام

ثالثا: ألية الحجاج الاستفهامي في القران الكريم

اللغة العربية لغة الإسلام، و من أفصح أهلها بعث الرسول الرحيم، فهي تبقى ما بقى الزمان، ولا تفسد كغيرها لاحتمائها بكلام الله سبحانه وتعالى، و لهذا وجدت طريقها إلى نفوس الناس منذ فجر الإسلام، فسارت في ركابه اينما ارتحل، واستقرت معه حيثما حل، عشقها المسلمون واحتفلوا بها، و شمروا عن ساعد الجد لتعلمها، فخاضوا في لججها لاكتناه ما في بحارها، و بذلوا أقصى الجهود في استخراج الخبيات و الدرر الكامنة في أغوارها، كما ناضلوا عنها، فصوبوا رشاش الألسنة، و سهام الأقلام تجاه كل من أراد أن يتعامل عليها، أو ينال منها بشيء، لأن الانحراف فيها يستلزم الضلال في الدين فوجب الدفاع عنها كما وجب الدفاع عن الدين.

– و للغة العربية مصادر عديدة و مختلفة من بينها: القران الكريم، الحديث الشريف، وكلام العرب (شعرا و نثرا).

أولا: تعريف القرآن الكريم

– اختلف العلماء و المفسرون في جواز تعريفه. لأن التعريفات لا تكون إلا للكليات، و منهم من أجاز و هم فقهاء.[1]

– و منهم من عرفه لتقريب معناه فحسب، و على أية حال فقد قالوا في تعريفه " هو كلام الله المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"[2]

" و تعريف القران على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين و الفقهاء و علماء العربية و يشاركهم فيه المتكلمون أيضا"[3]

– " فالكلام" جنس شامل لكل كلام، و إضافته إلى الله تميزه عن الكلام من سواه من الإنس و الجن و الملائكة.

(والمنزل) مخرج للكلام الإلاهي الذي استأثر الله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته، ليعلموا به لا لينزلوه على أحد من البشر، إذ ليس كلامه تعالى منزلا، بل الذي أنزل منه قليل من كثير **قال تعالى**: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ **الكهف**: 109.

– للكلام أسلوبان أي طريقتان في التعبير عن أغراض المتكلم و هما الأسلوب الخبري و الإنشائي.

فالملقي يسوق إلى السامع جملة تحتمل أحد الأمرين:

*– إما أن تكون حاملة خبرا معينا: و ذلك بأن يأتي المتكلم بمعلومة يفيد بها المخاطب، كنحو قولنا:" **الطلبة في فترة امتحانات**" و في هذه الحال يكون محتوى الكلام (**الطلبة في فترة امتحانات**) واقعا قبل حدوث الفعل الكلامي، أي أن مضمون الخبر سابقا زمنيا من عناصر الجملة المتلفظ بها.

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني، " مناضل العرفان في علوم القران" نشر و طبع الحلبي، مصدر، ط2، 1963م، ج1، ص: 14-15.

[2] محمد عبد الله دراز، "النبأ العظيم" نظرات جديدة في القران، دار القلم، الكويت، ط4، 1977، ص: 09.

[3] الزرقاني" مناهل العرفان"، ج1، ص:12.

– و إما أن تكون هذه الجملة حاملة طلبا معينا: أي أن المتلقي يطلب من المتلقي عمل شيء معين ولما كان الأمر كذلك فإن فحوى الكلام المنطوق لم يكن حاصلا في الواقع قبل صدور الطلب و تنفيذه، مثال ذلك: " اذكر الله كثيرا" هذان إذن هما القسمان اللذان ينقسم إليهما الكلام، فالأول الأسلوب الخبري و الثاني الإنشائي.

أ) الأسلوب الخبري: هو قول يراد به افادة السامع أو القارئ مضمون ما وهو ما يصح أن يقاتل القائلة إنه صادق أو كاذب. و ذلك بصرف النظر عن قائله.

ب) الأسلوب الإنشائي: هو ما لا يصح أن يقال لقائله أنه صادق أو كاذب لأننه لا يخبر بشيء ما، و إنما يطلب شيئا.

و هو نوعان:

***طلبي:** و هو الأمر و النهي و الاستفهام و النداء و التمني.

***غير طلبي:** و هو التعجب و القسم و المدح و الذم.

– و كل أغراض الأساليب الإنشائية تأتي حسب المعنى الذي يوحي به سياق الكلام، و هنا سنذكر و نركز على غرض الاستفهام.

ثانيا: تعريف الاستفهام

أ–لغة:

الاستفهام مشتق من (الفهم) معناه: العلم و المعرفة بالقلب يقال: فهمت الشيء أفهمه – بكسر الهاء في الماضي، و فتحها في المضارع – فهما و مفاهمة[1] و مفاهمية[2] فأنا فاهم. أفهمت فلانا الكلام و فهمته إياه جعلته يفهمه و تفهمت الكلام: فهمته شيئا بعد شيء، و " فهم" اسم ابن عمرو بن قيس بن عيلان، و يقال لسريع الفهم: فهم، و فهم[3] و فهم[4] بسكون الهاء و فتحها و كسرها.

واستفهمت فلانا الكلام: طلبت منه أن يفهمني إياه، فأفهمني و فهمني إياه[5] و نظيره: الاستخبار هو طلب خبر ما ليس عند المستخبر فهو مثل الاستفهام لفظا و معنى، و إن فرق بعضهم بينهما بجعل الاستفهام أخص من الاستخبار، لأن المستخبر يجاب بشيء، قد يفهمه، أو لا يفهمه و إذا سأله ثانية فهو مستفهم، يقول أفهمني ما قلته لي[6]

ب– اصطلاحا:

الاستفهام هو طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه[7]، هو أسلوب يطلب به العلم بشيء مجهول، كقولك: هل لديك نقود؟ فتجيب السائل بالنفي أو الإيجاب. و يعتبر من أساليب اللغة العربية، و هو إنشاء طلبي يطلب بع العلم بشيء لا يعلمه السائل، و هذا الطلب يأتي لأمرين هامين إما للتصديق أو للتصور و هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، بإحدى أدوات الاستفهام [8]

---

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط2، ص: 125.

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار حياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ- 2001م، ص: 1056.

[3] ينظر: لسان العرب

[4] الزمخشري: أساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ-1982م، ص:349.

[5] الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1404هـ-1984م، ص: 2005/5.

[6] ينظر: ابن فارس: الصاحبي، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، القاهرة، ص:292.

[7] السيوطي: جلال الدين عبد الر حمن أبي بكر، الأشياء و النظائر في النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ-1985م، ص: 43/7.

[8] عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القران الكريم- غرضه- و اعرابه، مكتبة الغزالي، دمشق، ط1، 1421هـ-2000م، ص: 08.

و يقول " علي حسن مزباي" هو أحد أساليب الطلب في اللغة العربية حقيقته طلب الفهم، أو طلب شيء لم يكن معلوما من قبل أو هو معرفة شيء مجهول.[1]

كما يعرفه " عبد القاهر الجرجاني" هو طلب العلم بالشيء و حقيقته أو عدمه أو صفة لاحقة به".[2]

[1] علي حسم مزباي، الأساليب النحوية في ضوء القران الكريم دراسة نحوية دلالية، دار أساريا للطباعة و النشر، ليبيا، 2001م، ص: 11.

[2] عبد القاهر الجرجاني: " دلائل الإعجاز"؟، مؤسسة و الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 20058، ص: 97.

ثالثا: آلية الحجاج الاستفهامي في القران الكريم

قال الله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ الحديد: 10

" ما" في محل رفع بالابتداء، و " لنا" في محل رفع خبر ل " ما" و لا " نقاتل" تحتمل ووجهات:

أفضلها عند النحاة قول الكسائي في تقدير حرف جر محذوف هو "في" فيكون المعنى:

و مالنا في ألا نقاتل، أي: في ترك القاتل، اللام في " لكم" دالة على الغنم ومقابلها " على" الدالة على الغرم.

كما في:

قال تعالى:" لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ "**البقرة:** 286

فتأول الآية حينئذ:

* ما الذي استفدتموه من إمساككم عدم الإنفاق.

* و لو قال: ما عليكم ألا تنفقوا.. سيضحى المعنى:

ما الذي ستخسرونه من إمساككم عن الإنفاق.

و الآية تحاججهم على المعنى الأول. فكان هؤلاء المنافقين تحركهم الرغبة في الاستفادة لا التحرز من الفقدان أو هم أصحاب طمع لا أصحاب حيطة..

– الاستفهام هنا، لا يراد به القوة الإنجازية الحرفية بل القوة الإنجازية الاستلزامية، مدارها على معاني الإنكار و التوبيخ و التبكيت...

و القصد الحجاجي من هذا الاستفهام هو إضعاف موقف الخصم معنويا... بالتنبيه على أنه لا حجة له في سلوكه ذاك.

"... و لله ميراث السماوات و الأرض" " الواو" للحال و للجملة الحالية موقع حجاجي مشهور في مثل هذه التعابير التي نستهل ب " مالك" أو " ما عليك".. فتكون الجملة الحالية سادة على الخصم منافذ الهرب و التذرع...

فالمعنى:

أنكر عليهم ترك الإنفاق و قد التبسوا بهذه الحال حال أن الله ميراث السماوات و الأرض..

و جاءت كلمة "ميراث" في الآية حاملة طاقة حجاجيه خارقة مؤشره على إعجاز القران..

" و لله ملك السموات و الأرض..." عبارة لها وظيفة حجاجيه لا تنكر ولكنها تقصر كثيرا عن الحجاج الباهر في "... و لله ميراث السماوات و الأرض"

التعبيران معا وردا في بداية السورة الحديد لكن وضع لكل واحد في مقامه المعلوم.

تأتي قوة كلمة "ميراث" من كونها دالة على معنى حيازة الملكية مع معنيين أخرين:

أ- ما لم سابق للمال.

ب- هلاك هذا المالك.

انتقال المال إلى مالك جديد.

و حجاج الآية يستثمر بقوة معنى الهلاك و معنى الانتقال بحيث يصبح سلوك المنافقين في الامتناع عن الإنفاق سلوكا باهتا إن لم يكن متناقضا.

البخيل حيث يمتنع عن الإنفاق... يعلن أنه لا يريد الانفصال عن ماله... وحجته في الغالب الأعم خشية الفقر، لذا تراه دوما يمسك و يستزيد أنه يتوقع الانفصال دائما لكن من جهة ماله أعنى يخشى:

" ذهاب المال و بقاءه هو..."

و جاء الحجاج في الآية ليصفع البخيل بتذكيره باحتمال أخر و هو:

" أن يذهب هو ينبغي ما له لغيره".

و هذه أشد من الأولى من جهتين:

- أنها حتمية و الأولى ظنية.. فالفقر محمل فقط لكن الموت يقيني..

- أنها تطعن البخيل في الصميم.. فالمال الذي يغار عليه من الناس سوف يبذلونه رغم أنفه... فظهرت المفارقة في أشبع صورة بين:

- من تكلف مشقة الجمع بدون استمتاع...

ومن اتستمع بدون تكلف مشقة الجمع

– فأنظروا إلى القوة لكلمة بعد هلاك صاحبها واعتبار المعنى:

" في سبيل الله" المقيد للإنفاق..

فالتنديد ليس بالممتنعين عن الإنفاق بالإطلاق، بل بالممتنعين عن الإنفاق عن سبيل الله.

لذلك قال المفسرون إن الآية نزلت في المنافقين...

فهذا المنافق يأبى أن يتنازل عن بعض ماله لربه...

فجاء التسفيه:

مالك سيرثه الله رغم أنفك.. فيضيع مقصودك الأول باستبقاء المال و عدم وصوله لله.. و تبوء مع ذلك بسخطه و عقوبته...

كل ملكية هي لله خلقا أولا، و تخويلا وسيطا، و ميراثا أخر...

فما أحمق من لا ينفق في سبيل الله...

إذ لا يكون الإنسان إلا رادا الملكية لصاحبها .. فأي حرج فيس ذلك...

و حتى لو أبيت ردها طوعا فستردها كرها...

رد خزي معا...

فأي عاقل يختار لنفسه هذا المسلك و أي راشد يختار لنفسه ذاك المصير...

الفصل الأول

حجاجية الاستفهام في لغة القرآن الكريم

أولا: أسلوب الحجاج

ثانيا :أسلوب الاستفهام

ثالثا: حجاجيه الاستفهام و أبعادها الدلالية في القرآن الكريم

تمهيد:

القرآن الكريم هو أول كتاب علم العرب استنباط الأحكام العقلية المبنية على مقدمات صحيحة، فدعاهم إلى استخدام عقولهم للتوصل إلى حقائق الظواهر، و اعتبر استخدام العقل مبدأ أساسيا في الإيمان الصحيح.

و قبل المضي في دراسة الآليات الحجاجية في كتاب الله المبين، كان من الضروري أن نركز على المعطيات الأساسية التي يتأسس عليها الخطاب القرآني و التي جعلت منه خطابا حجاجيا بدرجة أولى، فقد تميزت آيات القرآن الكريم بأساليب حجاجيه تعتمد على إعمال العقل و التفكير و البرهان و الحجة، و ذلك لرد الرأي برأي أقوى منه و الحجة بحجة أبلغ منها، و تتمثل هذه المعطيات في:

أ – الخطاب القرآني يسعى إلى الإقناع، فيأخذ بعين الاعتبار في كل القضايا المعطاة كل ما يمكن أن يعتقده المتلقي منذ البداية.

ب – الخطاب القرآني الكريم هو خطاب موجه إلى مخاطب كوني، أي أنَه لا يتوسَل متلقيا معينا في زمان أو مكان مخصوصين، و إنما هو خطاب موجه إلى البشرية جمعاء، فهو غير مقيد بزمان أو بمكان

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾ الأعراف:157

*و قد استطاع القرآن الكريم في هذا الاطار أن يؤثر على النفوس و يستميل العقول من أجل التدبر في آياته و معجزاته من أجل الاقناع بمقاصده .

فالحجاج في القرآن الكريم مفهوم معبر عنه بأشكال من العبارات و الأساليب التي تدل على الحوار و تهدف إلى الاقناع بالبراهين و الأدلة العقلية و الكونية و الفطرية، و قد جمع القرآن الكريم الدلالات

المختلفة لمفردة الحجاج في صميمه جامعة هي " **الحجة البالغة** " و من وسائل الحجاج في القرآن الكريم انطلاقا من أن الحجة هي ما يراد به اقناع المخاطب، و التأثير في موقفه و سلوكه: القسم – التعليل – الاستفهام.

و الكلام نوعان أساسيان: الخبر، الانشاء.

و الانشاء يتضمن ضمن فروعه الاستفهام، بل يكون هذا أهم فروعه، لأن الانسان منذ وجوده و بحكم غريزته مدفوع إلى الاستطلاع و البحث فيها يحيط به من الكائنات، بالتأمل و التفكر، و إن عجز في الاستفهام و التساؤل، فاهتم العلماء سلفا و خلفا بالبحث عن الاستفهام و ان يسَجل النحاة ملاحظاتهم حول هذه الأساليب.

أولا: أسلوب الحجاج

1- مفهوم الحجاج:

أ- الدلالة اللغوية للحجاج:

يستدعي التأثير والإقناع في التخاطب الإنساني بيانية فاعلة لتحقيقه، لذا نجد الحجاج ميزة من ميزات هذا التخاطب، إذ يعد ركيزة النصوص الموجهة المتضمنة للمقصدية والنقاش والنقد والجدل، والتي منها: النصوص القرآنية والفقهية، والأدبية والفلسفية...

وتعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت ما يسمى "البلاغة الحديثة" التي ركزت على جانبين أساسيين هما "البيان" و"الحجاج" كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع.

تكاد تجمع المعاجم العربية في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب لابن منظور (يقال حاججته، أحاجه حجاجا حتى حَجَجْتُهُ: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها [...] والحجة: البرهان وقيل: الحجة: ما دافع به الخصم، وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج، أي جدل وفي الحديث/ "فحج آدم موسى: أي غلبه بالحجة)[1].

وإذا رجعنا إلى ابن فارس وجدناه يحصر مادة (حجج) في أربع معان كبرى: (الحاء والجيم أصول أربعة) :

1- فالأول: القصد: وكل قصد حج... ثم اختُصَّ الاسم القصد إلى البيت الحرام.

2-والأصل الآخر: الحِجَّةُ، وهي السنة.

3- والأصل الثالث: الحَجَاجُ: وهو العظم المستدير حول العين.

4- والأصل الرابع: الحَجْحَجَةُ: النكوص[2]

ومن الممكن استخلاص الدلالات التالية من خلال تأمل المعاجم العربية:

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة حجج، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 2، ط 1،1997) . ص 570

[2] ابن فارس ،مقاييس اللغة ، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ،دمشق،دط،ج2،ص30.

الدلالة الأولى: القصد.

الدلالة الثانية: المخاصمة والمغالبة بقصد الظفر، حيث يأتي "الحِجاج" و "التحاجج" بمعنى الخصومة وذلك باعتبار ما في هذا المصطلح من المغالبة وقصد الظفر يقال: «حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة وذلك الظفر يكون عند الخصومة»[1]

قال في اللسان. « والتَّحَاجُ: التخاصم »[2]

وأصل الخصومة المنازعة، وهي لا تستدعي عداوة ولا مقاتلة، بل مدارها أساسا على الاختلاف في دعوى تملك الحق، مع الاجتهاد في تحقيق الغلبة.

الدلالة الثالثة: الإحاطة والصلابة، ويدل عليها قوله. « الحَجَاجُ العظم المستدير حول العين»[3]

الدلالة الرابعة: النكوص، التوقف، الارتداع، وبدل عليها لفظ" الحجحجة" حيث يقال: حَجْحَجَ عن الشيء: كف عنه.

ويقابل لفظ "حجاج" في المعاجم الفرنسية وهي:Argumentation التي تدل على معاني متقاربة حسب قاموسLe grand Robert و هي :

- "القيام باستعمال الحجج"[4]
- " مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة"[5]

أما في اللغة الانجليزية فيشير لفظ "Argue"« إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل طرف منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل"reasons" التي تكون مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما» [6]

[1] المصدر السابق، مادة حجج ،ج2،ص570.

[2] المصدر نفسه،ص570.

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة ، مادة حجج،ج2،ص30.

[4] Le grand robert, dictionnaire de la langue francaise,1ere édition, paris, 1990,p65.

[5] المرجع نفسه،ص65.

[6] Longman,dictionary of contemporary english,Longman 1989,p34.

فالحجة مرادف للدليل، وهي المركبة من المقدمات المسلم بها عند الخصم، المقصود منها "إلزام الخصم وإسكاته"[1]، ولا يخلوا أي نص أو خطاب منها، حيث نجدها في التواصل العادي والنوعي، كما نجدها في الحجاج والجدل، وهي تنصبغ عادة بنوع الخطاب الذي تأتي فيه، فإن كان لغويا عاديا تكون الحجة لغوية، وإن كان الخطاب بلاغيا كانت الحجة لغوية بلاغية... فكل حجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يكتنفه، فنجد حجاجا خطابيا "لسانيا" وآخر "بلاغيا" ، وآخر "قضائيا" وغيره "سياسيا"، وآخر "فلسفيا" وما إلى ذلك. « وتبعا لذلك يصبح الحجاج بعدا من أبعاد الخطاب الإنساني المكتوب والمنطوق»[2].

والذي يهمنا في هذا المقام، هو الحجاج البلاغي الذي يخضع في بنائه وترتيبه

لقواعد اللغة بنحوها وبلاغتها ويتميز بـ:

- « اشتراطه لرغبتين: إرادة المتكلم... وإرادة المتلقي.
- خضوع حججه للتراتيبية والتنظيم.

اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعي، والجمع بين البيان والبديع»[3]

إن الهدف الأساسي للخطاب الحجاجي هو الوصول إلى إقناع السامع بفكرة معينة، كان قد أخذ منها موقف الرافض أو المتشكك، ومن ثم يقول المتكلم بإبطال الفكرة المراد نقضها، والتي تكون هي المسيطرة على ذهن المتلقي، ثم إحلال مكانها ، الفكرة التي جيء بالحجة من أجل إثباتها فنجد كل الذين تعرضوا لتعريف الحجة أو الحجاج راعوا هذه النقطة فهم يقولون مثلا:

- «الحجاج خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على. سلوكه، أي الإقناع»[4]

[1] محمد علي التهاوني ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تح علي دحروج، لبنان، ط1، ج1، ص622.

[2] حبيب اعراب، الاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر ، مج30، ع1، 2001، ص98.

[3] المرجع نفسه،ص110.

[4] جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب، القاهرة، دط،2000،ص7.

- « إن الخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء وسلوكات المخاطب أو المستمع، وذلك بجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا كنتيجة بمختلف الوسائل... نقول على سبيل التعريف أن المعطاة – الحجة- تهدف إلى إثبات أو نقض قضية»[1]

وقد جعل طه عبد الرحمن الحجاج انطلاقا من بعده التحاوري ثلاثة نماذج وهي: النموذج الوصلي، الإيصالي ، الاتصالي.

« فأما النموذج الأول وهو الوصلي، فإنه يعتمد على الحجاج ذاته دون اعتبار المقام التواصلي، بمعنى أنه يغفل عنصري: المتكلم والسامع، وأما النموذج الإيصالي للحجاج، فهو ذلك النموذج الذي يركز على المتكلم ووظيفته في العملية الخطابية.

وأما النموذج الثالث الاتصالي الذي يستحضر ركني العملية التواصلية: المتكلم والمستمع في جو من التفاعل والممارسة الخطابية في مقام حي»[2].

ويمكن أن نعد النموذج الثالث (الاتصالي) هو الذي يصلح لدراسة الحجاج في القرآن، لكونه يعود إلى طبيعة الجو المقام الذي نزل فيه القرآن، حيث غلب عليه جو الخصومة والمحادثة والعناد، والتي جاءت نتيجة للأسباب التالية:

1. الثورة الجديدة في المفاهيم والنظم الاجتماعية.
2. التحدي الصريح للعرب.
3. طبيعة البيئة العربية التي تتميز بالتمسك بالتقاليد.
4. العجز عن الطعن في مضمون وبناء الخطاب القرآني.

وبما أن الخطاب القرآني كان يحث الإنسان على إعمال عقله وطاقاته الإدراكية والشعورية، فقد بنى لغته على مختلف أنواع الحجج والبراهين العقلية والبلاغية.

[1] الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، "سورة النمل أنموذجا"، مجلة اللغة و الادب، ع12،ص329.

[2] عبد الرحمان طه، اللسان و الميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص271.

وكيف لا يكون الخطاب القرآني، خطابا حجاجيا وقد نعت مناوئيه بشدة الجدل واللّدد **قَالَ تَعَالَىٰ**:

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ الزخرف: 58

وقال: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾ مريم: 97

«لُدٌّ: شداد الخصومة دأبهم الحجاج، والألد الذي يتمسك بالباطل ويجادل فيه »[1] ومن ثم فقد أوحى الله تعالى إلى نبيه بأن يتخذ معهم الحوار والجدال بالتي) فيه هي الأحسن .

ب– الدلالة الاصطلاحية للحجاج:

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستخلص منها.

لا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من تداول مصطلح "حجاج" أو"الاحتجاج" أو "المحاجة" في عدة مجالات وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي التي كثيرا ما يعتريها الخلاف في وجهات النظر، فهو مستعمل في علوم النحو واللغة والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام... وقد استعملت مصطلحات متقاربة لمعنى الحجاج « الاحتجاج » « المناظرة » « الجدل » فتقاربت معانيها — إن لم نقل ترادفت –، وقد أجمعت معظم المعاجم على أن الحجاج مصطلح يقصد به المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم ولا شك أن المفهوم القرآني للمصطلح "حجاج"، "جدل" يختلف على ما جاء في كتب الفلاسفة والفقهاء، فأي مصطلح قرآني مهما شابه غيره أو قاربه في دلالته ووظائفه يظل قائما بذاته، له حقله الدلالي الخاص به، وخصائصه المميزة له عن غيره.

تعتبر الدراسات العربية والغربية مهدا للنظرية الحجاجية، وكيفية تطور التصور القديم للحجاج مع تطور الدراسات الحديثة، سواء العربية او الغربية من خلال الاضافات التي قدمتها هذه الدراسات

[1] ابو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق الترتيل و عيوب الاقاويل فيلا وجه التأويل، تح الشريف علي بن محمد علي السيد وأحمد بن محمد الاسكندري، دار الفكر بيروت، ج1، ص 220.

"حيث اهتمت بهذا المجال من خلال حلقات شكلت لتدارس هذا المفهوم وأدواره في مختلف الحقول المعرفة"[1]

«لما كانت اللغة ذات طبيعة حجاجية متأصلة فيها هذه الخاصية ألصق بالخطاب منها باللغة، وكانت أنواع من الخطابات في التراث العربي هي التي تمد الأبحاث الحجاجية بمادة غنية في التنظير للحجاج على أسس حديثة، والتي وجد فيها الباحثون المعاصرون ضالتهم فيها يرمونه من الكشف عن الكنوز التراثية العربية في هذا المجال»[2]

إذا كانت البلاغة القديمة – سواء عربية أو غربية- قد تناولت قضية الحجاج إلا أنها لم تتناول أبعادها كلها حيث تم الاكتفاء بالإشارة إلى مقامات السامعين والهيئة التي على الخطيب أن يكون عليها فقد دار تناول قضية الحجاج، في الخطاب الشفوي المباشر ، «أما الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر فقد برز الاهتمام به من خلال الحقلين النقدي واللساني خاصة والإنساني عامة وفي مجالي المشافهة والكتابة، وقد حصل هذا الاهتمام بعد الثورة التي عرفها الدرس اللغوي»[3]

وعلى الرغم من التنوع في الوظائف والمشاغل البلاغية، إلا أن "المظهر الحجاجي L'aspect argumentatif يظل من أبرز خصائص" [4]الفكر البلاغي عبر مراحله وبالأخص المعاصرة حيث كان لها الدور الفعال في جميع أنماط الحياة والاتصال وهذا من العوامل التي« فتحت الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وظيفة الإقناع والتأثير في صفة لم تعرفها من قبل، وأصبح الخطاب يعتمد في انجاز تلك الوظيفة و أحداث التأثير بأسباب متنوعة ، منها ما يقوم على البلاغة الصورة، ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير لمفهومه و متضمنه»[5]

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط 1، 2008، ص 101 ،

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث الانساني العربي ، دار التنوير، ط1، ص66.

[3] محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 7

[4] .باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة د/ أحمد الوردني ، دار الكتاب الجديد ، ط1، 2009، ص 6

[5] حمادي صمود، اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، من ارسطو الى اليوم، منشورات كلية الاداب، منوبة، 1998، ص

2- الحجاج عند العرب :

أ- قديما:

يضرب الحجاج – الجدل الجدال المجادلة – بجذور قوية في الخطاب العربي، فضلا عن الدور المهم الذي لعبه الحجاج في الحياة العقدية والسياسية في البيئة العربية الإسلامية، علاوة على استخدام البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي على نحو ما نرى في دفاع عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بنظرية النظم، مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة، كما شغل الحجاج بعض القدماء *جنسا خاصا من الخطاب، ويمكن الوقوف على محاولتين مهمتين في دراسة الحجاج لكل من أبي الحسن إسحاق بن وهب وحازم القرطاجني.

أما ابن وهب فقد قدم في كتابه (البرهان في وجوه البيان)، تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة «إذا جعل منه خطابا تعليليا إقناعيا، وميز من خلاله بين أنواع الجدل وقسمه إلى جدل محمود وآخر مذموم كما تحدث قي بحث من مباحثه حول "أدب الجدل" واشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في المحاج كألا يقبل قولا إلا بالحجة ولا يرده إلا لعلة، وألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، وألا يستصغر خصمه ولا يتهاون فيه.... »[1]

أما حازم القرطاجني فإن أهم ما يمكن أن يستخرج من نظريته العامة في"التخيل والإقناع" من خلال مؤلفه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء في« أنه ميز بين جهتين للكلام» حيث يقول « لما كان كل الكلام يحتمل الصدق والكذب، وإما أن يرد على جهة الإخبار و الاقتصاص وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال»، كما تحدث أيضا عن طريقتين لإقناع الخصم وهو يقول في ذالك ، «التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، و الاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله،

* ونذكر بعض العلماء القدماء الذين اهتموا بالحجاج: الجاحظ في (البيان و التبيين)، كما تحدث عنه ابن رشيق عبد الله المعتز في كتاب (العمدة) الذي ختم أبواب البديع الخمسة بالمذهب الكلامي أسلوب حجاجي وسماها بعضهم الاحتجاج النظري، ومنه الخطيب القزويني في (الإيضاح) وأطلق عليهالزركش (إلجام الخصم بالحجة، في" الإيضاح في علوم القرآن" وقد ذهبوا في تعريفهم إلى أن "المذهب الكلامي" أو "المذهب المنطقي" "المقياس المنطقي لون من الحجاج يرمي فيه المتكلم إلى إقناع خصمه بالحجة

[1] حافظ إسماعيلي علوى، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة الجزء الرابع ص 9

أو باستمالته المخاطب واستلطاف له حتى يصبر بذلك كلامه مقبولا عند الحكم وكلام خصمه غير مقبول».[1]

ومع وجود عوامل متعددة ساعدت على تطور البلاغة العربية ونشأة التأليف فيها، لعل من أهمها البحوث التي اتصلت بدراسة القرآن الكريم لغة وإعجازا ولقد لعبت المؤثرات الأجنبية دورا لا يستهان به في تطوير الدرس البلاغي وإثرائه وفتحه على المجالات والحقول المعرفية المجاورة، وقد كان لحضور المؤثر اليوناني دورا بارزا من خلال القراءات التي تناولت كتب "أرسطو" بالترجمة والشرح «وتجليات ذلك التأثير في المصنفات العربية بدءا من "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ووصولا إلى "منهاج البلغاء" للقرطاجني، و "عقود الجمان" للسيوطي »[2]وقد بدأ من خلاله الوعي بمفهوم الحجاج وساعد ذلك في بروز) بلاغة جديدة عمادها البيان والحوار والحِجاج.

«وفي هذا الجو الجديد يظهر الجاحظ مدافعا عن الحوار وثقافته ومحاولا كما وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع أساسها مراعاة أحوال المخاطبين»[3]،كما اهتم الجاحظ بالفعل اللغوي واعتبره الأساس لكل عملية بيانية حجاجية، « والكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة فهو يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: أولا: الوظيفة الخطابية وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة، والثانية: "البيان والتبين" أو "الفهم والإفهام»[4] ومفهوم البيان عنده تتنازعه وظيفتان أولاهما إفهامية والثانية حجاجية (إقناعية)، ومن العوامل التي جعلت الجاحظ يهتم بالترعة الحجاجية، انتماؤه المذهبي إلى المعتزلة وتصدره للدفاع عن العديد من أطروحاتهم، وكان من شأن هذا تحفيزه على التفكير في نصوص الخصوم ثم البحث عن الآليات الكفيلة بدحضها.

ونكتفي بهذا القدر حول رؤية الجاحظ البيانية الحجاجية والتي ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الدراسات البلاغية العربية، وقد تم تناولها في مصنفات بعد الجاحظ لكن تناوله له وإن كان

[1] المرجع السابق، ص09.

[2] محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 209

[3] المرجع نفسه، ص211.

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط ، ج1، ، ص220.

مشتتا ضمن البيان إلا أنه شمل معظم عناصر المقام ومحدداته الداخلية والخارجية، وهكذا فقد بدأت تتبلور في الدراسة العربية وفي وقت مبكر بلاغتان إحداهما شعرية والأخرى تداولية حجاجية.

ب– حديثا:

سنناقش في هذا المحور أهم المدارس العربية التي اهتمت بمجال البلاغة المعاصرة بصفة عامة وبلاغة الحجاج بصفة خاصة، وسنبدأ بالمدرسة المصرية، من حيث الأسبقية التاريخية، لأنها تعتبر رائدة الترعة الإحيائية و التطورية سواء على المستوى الإبداعي الشعري والنثري أو على مستوى التنظير النقدي عامة والبلاغي خاصة.

لقد بدأت في هذه المدرسة محاولات أعادت قراءة التراث البلاغي في ضوء المقولات النقدية المعاصرة، « وتوالت بعد ذلك الدراسات البلاغية والأسلوبية » على حد السواء محاولة الاستفادة من الدرس النقدي الغربي، لكن يلاحظ أن معظم هذه الدراسات غلب عليها الاهتمام بإعادة بعث التراث العربي القديم بدءا من الجاحظ ووصولا إلى السكاكي والقزويني والسيوطي، فقد اهتمت بالتاريخ الذي قطعته البلاغة العربية منذ عصر التدوين حتى عصور التقعيد الرسمي والقولبة النظرية»[1]

لكن المتتبع لحركة البحث في البلاغة المعاصرة داخل المدرسة المصرية سيجد أن الكتاب "بلاغة الخطاب وعلم النص" لصلاح فضل يعد من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية المعاصرة التي تهتم "ببلاغة الحجاج" وبرائدها بيرلمان، وقد كان في كتابه هذا يهدف لتبيان أوجه الإقناع في بعض الخطب العربية القديمة وخاصة في العصر الإسلامي، وقد كان هذا الاهتمام بالإقناع مرحلة دفعته إلى الانتباه إلى "الحجاج".

وإذا عرجنا، إلى المدرسة المغاربية فإننا نجد " حمادي صمود" صاحب البحوث الرائدة في هذا المجال، كما نجد جهود "محمد العمري" الذي كانت له الريادة وذلك لانتباهه المبكر إلى دور الحجاج

[1] محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغه النقدي المعاصر، ص 243.

في قراءة النصوص البلاغية والخطابية، وهو انتباه وّلده لديه اطلاعه المكثف على نصوص التراث العربي والغربي قديمهما وحديثهما[1]

ويركز "محمد العمري" في قراءته هذه على الأبعاد التداولية في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بمختلف العلوم الأخرى، لكنه قبل أن يصل إلى تلك الأبعاد نجده يتتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من ناحية الأخرى.

فمن جهة الحجاج يرى أن الحاجة إليه والاهتمام به قد برز بشكل جلي في فترة الاهتمامات الكلامية، عندما أصبح التسلح بالوسائل الحجاجية البلاغية اللغوية أمرا ضروريا للدفاع ضد مزاعم المشبهين والمتناولين للتشابه من القرآن الكريم، ولمقاومة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم، فقد برزت أهمية الحجاج في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بالقرآن الكريم وقد بدأ مع هذا الاهتمام تناول وتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية والسياقية من أجل ترجيح قضية ما، واشتغل العديد من العلماء على إثبات التنزيه القرآني، فنجد ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" يرد على الطاعنين في كلام الله فيقوم أولا بتصنيف حججهم ثم الرد عليها بحجج أقوى منها.

أما مرحلة الاهتمام بالحجاج –بالنسبة للمدرسة التونسية– فتبدأ مع ذلك الفريق البحثي الذي شكل لتقصي بلاغة الحجاج ومن أعضاءه الرواد: "حمادي صمود" –في التقاليد الغربية، والذي نشر أعماله سنة 1998 وينطلق "حمادي" في هذه المرحلة من اعتبار بلاغة الحجاج أدق مواضيع الدرس البلاغي، إذا أنها تقوم على استعمال جميع العناصر المجاورة المساعدة في فهم الخطاب وتوصيله، كما تحدث عن أقسام ا لحُجج التي يختارها المتكلم حيث يضع كل واحدة مكانها– المقدمة، الموضوع، الخاتمة–. في مكانها المناسب الذي يمنحها الفاعلية .

كما أن المحاولات التي طمحت إلى إعادة قراءة البلاغة الأرسطية تحت عنوان" الخطابة الجديدة" قد ساهمت في تطور الدرس الحجاجي حيث أنها اهتمت بالأساليب و الآليات الكفيلة بإقناع المخاطبين ودفعهم إلى تغيير وجهات نظرهم بما يخدم النص.

[1] المرجع السابق، ص 243.

ومن خلال هذا يمكن القول أن الدرس البلاغي العربي عرف منذ ثلاثينيات القرن الماضي محاولات عدة لتطويره وإعادة صياغته في شكل جديد أو كانت تلك محاولات في البداية تدور حول إعادة تصنيف المواد البلاغية، لكن مع دخول الدرس اللساني الحديث بدأ هذا الدرس يشهد نوعا جديدا من خلال الاستعانة بالمفاهيم التداولية الحديثة، كما ظهرت دراسات توظف كلا من البلاغة القديمة واللسانيات المعاصرة في تحليل بعض الأجناس، لكن أيا من هذه الدراسات لم تول الاهتمام الكافي والواضح بمباحث البلاغة المعاصرة بشكل عام والحجاج بشكل خاص.

ونؤكد من خلال محاولة تتبع هذه المدارس العربية – من خلال أهم روادها – أنها أفادت الدرس اللساني الحديث بدرجة واضحة وأضافت كل حسب انشغالاتها وموقعها فقد عملت على توعية القارئ العربي بهذا التيار وأهم مفاهيمه، ثم بدور النظرية الحجاجية في تحليل الخطابات المعاصرة وما يمكن أن تمدنا به من آليات لعصرنة التراث العربي وتفعيله.

3– الحجاج عند الغرب:

أ– قديما:

- **الحجاج عند السوفسطائيين*:**

تعتبر حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد « وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية وبالخبرة الجدلية، وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة القولية التواصلية

* لفظ سفسطائي كان يعني بحسب الاستعمال السائد حوالي القرن 5 ق.م معلما للنحو والبيان والمنطق والفصاحة، كان محترفا يعلم الشبيبة آداب السلوك والحكمة وسبل السعادة وقد بلغ الأفراد السفسطائيين الذين عاشوا في المرحلة الممتدة حوالي 460 إلى 380 ق.م ستة وعشرون سفسطائيا، لكن المعروفين لدينا ربما كانوا تسعة أو عشر مشهورين ومنهم جورجياس – بروديقوس – أنطيفون – تراسيماخوس – قالقليس – كريسياس – ثيديموس – سقراط –

مجموعة معلمين يرحلون من مدينة إلى أخرى، يعلمون تلاميذهم » لكن ليس هناك سفسطائية بمعنى المدرسة فقد كانوا مقابل أجر متفق عليه عن طريق شرح مؤلف ما أو سلسلة من الدروس ومناهج الدفاع بنجاح عن أي دعوى، وطرق الغلبة التي تقوم على أساس الإقناع والإلزام والإغراء.

كان السفسطائيون يعلمون أبناء الأعيان آليات إنتاج الخطاب حتى لا يدرك العامة تلك الآليات وبالتالي يسهل إقناعهم ووقوعهم تحت سلطة القول، أما إذا أدركوا الآليات والأساليب فإن إقناعهم يكون صعبا.

والحياة الفكرية عامة»[1] يعقدون نقاشات ذات منزع لغوي، الأمر الذي أسفر عن اهتمامهم البالغ بالطرائق الحجاجية والإقناعية.

لقد اهتم السفسطائيون ببنية كل من الكلمة والجملة وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين، واستعانوا في سبيل ذلك بخبرة بالغة بمقامات الناس وبآليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية.

لقد كان للحجاج والبلاغة السفسطائية عمق وجدوى متأتيان من تصورهم للخطاب ومن دوره في تحقيق الوجود وتجسيد الحضور ونفي الغياب وإن كان في نظرهم يظل مجازيا إذ هو تجسيد صوتي للغياب العيني، « اللغوي » هذا الحضور من هنا كانت الخطابة والحجاج لإحداث التفاعل الوجودي بين البشر.

وعمد السفسطائيون في ممارستهم « للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة« النفعية » المتعلقة« باللذة وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام، وتعتبر فكرتا "التوجيه" و"التوظيف" من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة»[2]

ويؤكد« أفلاطون أن الحجاج نوعان: إقناع يعتمد العلم وآخر يعتمد الظن»[3]

وهو موضوع الخطابة السفسطائية، وقد رأى أفلاطون في حجاجه مع السفسطائيين أن هذا النوع الذي يعتمده السفسطائية في طرقهم لإقناع العامة غير مفيد فهو لا يكسب الإنسان المعرفة.

وقد رأى أرسطو أن خطابهم مبني على أغاليط دلالية متنوعة يتم فيها التلاعب بمعنى المقدمات كي يكون القياس مخالفا للمتوقع وموافقا لمآرب السفسطائي الذي يعتمد بالأساس في حجاجه على التفنن في توجيه اللغة، فيعتمد على عمليتين في هذا النوع الحجاجي «فلإنجاز المرحلة الأولى يقوم

[1] مجدي الكيلاني، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر، دار التنوير،ط1 ، 2008، ص85

[2] محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 27

[3] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج، مدارس وأعلام، الجزء الثاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،ط1، 2010، ص10

السفسطائي بالاعتماد على ثلاث وحدات لغوية تتميز بما تحمله وتنشئه من تعدد دلالي، وهذه الوحدات بعضها معجمي (الاسم المشترك) وبعضها صرفي (شكل اللفظ) والثالث صوتي(النبر) فبهذا يظهر السفسطائي حجاجه متناسقا رغم ما بداخله من عوامل التفكك والتناقض، أما العملية الثانية فيستخدم ما أسماه أرسطو "التركيب" ويتمكن بناءاً على ذلك من إحداث انزلاق في الحكم»[1]

وقد نبه أرسطو من خلال دراساته اللغوية إلى قضية التعمق والتصرف في قواعد التأويل الدلالي لتحقيق أغراض حجاجية، إذ اعتبرها آلية حجاجية بالغة العمق في التأثير والإقناع، تتطلب التسلح بها ليتمكن المؤوِّل من خلالها استغلال ما في اللغة من علاقات دلالية، وهذا ما جعله – أرسطو– يولي أهمية كبرى للدلالة والتأويل إذ نبه« إلى أن الذين ليس لهم خبرة بخصائص الدلالة في الأسماء ينشئون استدلالات فاسدة حين يناقشون وحين يسمعون غيرهم، ولقد حذر شديدا من خطر استعمال بعض علاقات الدلالة في بناء المعنى في الحجاج الجدلي، ودعا إلى ضرورة تخليصه من الغريب والاستعارة والمترادف والمشترك...فلكل جنس قولي علاقات دلالية مناسبة لبناء معناه وتحقيق الغرض منه»[2]

- **الحجاج عند أرسطو:**

لقد تأسست دراسة أرسطو للحجاج على دعامتين أساسيتين: الأولى، يختزلها مفهوم الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي[3] فالاستدلال الحجاجي عند أرسطو« تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم »[4] وهذا الاستدلال لا ينطلق من فراغ بل من معارف سابقة، وبالتالي يمكن أن نستعمل الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي والبلاغي، «بوصفه تلك ، المنهجية التي يسلكها الفيلسوف والبلاغي بهدف إرساء حقيقة معينة ضمن مدار واحد، ومركز هذا المدار

[1] الريفي، الحجاج عند أرسطو، دط، دت، ص237.

[2] المرجع نفسه، ص244

[3] محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 36

[4] ارسطو طاليس ، الخطابة ، تحقيق عبد الرحمان بدوي ، دار القلم ، بيروت ، دط، ص 245.

عرض الحقيقة العقلية أو اللفظية عرضا استدلاليا متماسكا تواكبه إجراءات حجاجية معروضة في تناسق مع إنجازات لسانية. وبلاغية وغيرها»[1]

يؤسس أرسطو فهمه للحجاج على منطلقات منطقية استدلالية وهذا ما منح النظرية صدى واسع في العلوم الإنسانية، أما الدعامة الثانية للنظرية الأرسطية فتتمثل في البحث اللغوي في علاقته بالإنسان والوجود، فأكد أن الإنسان لا يحيا إلا باللغة، وإدراكه لذاته ووسطِه لا يتم إلا بها.

وبهذا التوجه يكون أرسطو قد حول مسار الخطابة والحجاج عامة من كونهما قائمين على التأثير والتحريض والتملق إلى كونهما عمليتين برهانيتين، فالسمة العقلية تجعل الحجاج مؤسسا على خطة معينة، يمكن للمتلقين الدخول إلى نسقهما الأسلوبي، فيتم بذلك الوعي بالبنى الحجاجية، وهو إحساس يدعم انخراط المتلقي في الحجاج المقدم.

فالحجاج عند أرسطو فعالية ونشاط خطابي بلاغي تداولي يشكل مهادا منهجيا للحوار الفلسفي (الذاتي) والخارجي (الجماعي)، فالفلسفة خطاب العقل والفهم والتأويل وهي أمور وثيقة الصلة بالحجاج، أما في الخطابة فهو يلجأ إليه لأهداف عدة منها تحقيق الإقناع العقلي والعاطفي معاً في استمالة الآخر ودفعه إلى الفعل والتعبير أحيانا.

ومع هذه الوقفة القصيرة للحجاج الأرسطي نستنتج كيف أنه رفض العديد من الأساليب والمغالطات السفسطائية، ودعا إلى بلاغة يكون مركزها الحجاج وتكون العناية فيها بمختلف أطراف العملية التواصلية الاساسية، وذلك لأنه لم ينظر إلى الحجاج بطريقة اختزالية وإنما بطريقة تفاعلية مع مختلف فروع المعرفة الإنسانية.

ب – حديثا:

ينحدر توجه الحجاجيات اللسانية من أصلين معرفيين، أحدهما تمثله النزعة التداولية في اللغويات المعاصرة، والثاني تمثله أعمال الخطابة الجديدة مع رائديها "بيرلمان" و"تيتيكا" «فقد مثلت الحجاجيات اللسانية مجاورة حقيقية لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارهما لتتمكن بفضل ذلك

[1] اعراب الحبيب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي ، مجلة علم الفكر ، ع1، مج 30، 2001، ص 127.

من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه، درس ينطوي على نضج نظري يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية ليلحقه بالممارسة العلمية اللسانية» [1]

وقد نتج عن هذه الجهود، إعادة النظر في البلاغة اليونانية القديمة، وقراءتها قراءة جديدة، يوظف فيها ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة، وإذا كان الحجاج قد عرف اهتماما ما واضحا في بلاغتي التأويل والتلقي، إلا أن تأصيله كمبحث قد برز مع جهود المدرسة البلجيكية ورائدها "بيرلمان".

- **الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتيكا":**

لقد أسهمت بحوثهما في الكشف عن جوانب عميقة في الدرس البلاغي المعاصر بوصفهما تأملا في اللغة والفكر وذلك من خلال " كتاب "بيرلمان « البلاغة الجديدة » - La nouvelle rhétorique -1958 وهو عنوان فرعي لكتاب « مصنف في الحجاج »[2] وكتاب آخر بالاشتراك مع تيتيكا «دراسة الحجاج » L'argumentation Traité de الذي درسا فيه التقنيات التي تؤدي إلى التسليم ، بالموضوعات المعروضة.

والحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت، إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، فمبعثه هو الاختلاف وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه المحاج موقف الشريك المتعاون، من أجل تحقيق غايته، وهي استمالة العقول – المتلقي- لما يعرض عليه ويجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، وأن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه، وهو على ضربين. [3]

«الأول: تمثله البلاغة البرهانية، حيث يقوم على البرهنة والاستدلال وهو خاص بالفيلسوف، جمهوره ضيق وغايته بيان الحق»

[1] د/حافظ اسماعيلي علوي ن الحجاج ، ج2، (مدارس واعلام)، ص 79

[2] محمد سالم ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 102.

[3] خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم ص 107.

الثاني: حجاج أوسع من السابق، يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي»[1]

كما يتميز الحجاج عند "بيرلمان" بخمسة ملامح رئيسية[2] :

1. أن يتوجه إلى مستمع
2. أن يعبر عنه بلغة طبيعية
3. مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية
4. لا يفتقر تقديمه إلى ضرورة منطقية
5. ليست نتائجه ملزمة.

وبالإضافة إلى اعتماد الدراسات الحجاجية المعاصرة على أعمال كل من"بيرلمان" و"تيتيكا" فإنه يقوم على أعمال آخرين منهم: "تولمين"، "ديكرو" و "أنسكومير"

- **الحجاج عند تولمين:**

يتضح مفهومه للحجاج من خلال بحثه المقدم في 1958 بعنوان the uses of argument الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستخدام اللغوي وقد ترجمها عبد الله صولة [3].

الأول: حجاج ذو ثلاثة أركان أساسية: المصرح به، النتيجة، الضمان.

فمثلا: محمد جزائري (مصرح به) ← النتيجة (ليس مصريا)، الضمان يكون ضمني (نظر إلى أن أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة)

الثاني: يمثل حجاجا أدق من الأول، بحيث يضاف إليه الموجه، الاستثناء

محمد جزائري (مصرح) ← ليس شيعيا (موجه نسبه مؤكد) إلا إذا تشيع خلال رحلته إلى إيران (استثناء)

الثالث: يمثل حجاجا أكثر دقة، بإضافة عنصر الأساس الذي يبنى عليه الضمان، ومثاله: (بحكم أن نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر).

[1] المرجع نفسه ، نقلا عن عبد الله صوله ، الحجاج في القران الكريم ، من خلال اهم خصائص الاسلوبية ، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2007، ص 32.

[2] حافظ اسماعيلي علوي ، الحجاج – ج2– مدارس واعلام ، ص 182.

[3] عبد الله صولة ، الحجاج في القران الكريم ، ص 22

- **الحجاج عند "ديكرو" و "أنسكومير":**

عرضا مفهوم الحجاج وآلياته من خلال كتابهما L'argumentation dans la langue"الحجاج في اللغة"، في 1983 وهو حجاج لساني بحت، وقد حصراه في اللغة ودراستها، إذ يكون بتقديم المتكلم قولا يفضي إلى التسليم بقول آخر فهو إنجاز لعمليتين: عمل صريح بالحجة وعمل بالاستنتاج.

يرى "ديكرو" أن "كل قول يحتوي على فعل إقناعي، فأن تتكلم يعني أنك تحاجج، (كل قول = حجاج)، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية، فالحجاج عنده هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة"[1]

وهذا على عكس ما يرى "بيرلمان" في تعريفه للحجاج، إذ يأخذ لماهية الخطابة عند أرسطو، فهو كل قول يهدف من ورائه إلى ممارسة فعل إقناعي على مخاطَب، لكن ليس كل قول حجاجا أو حتى ذا اتجاه حجاجي.

ومن خلال ما تم استعراضه، فإننا نستطيع القول أن الحجاج هو مجال غني من مجالات التداولية، يشترك مع العديد من العلوم، يعد ضمن الحقل التداولي، لكنه انبثق عن الحقل المنطقي والفلسفي والبلاغة، يرتبط مفهومه في مختلف الدراسات ، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من الخيارات، وهو يقوم علىصناعة الجدل والخطابة، بل إن من الدارسين من عده خطابة (بلاغة) جديدة لا هي بالجدل ولا بالخَطابة.

4- أنواع الحجاج:

لقد اتخذ الحجاج القرآني صورا منها: "الحجاج العقلي أوالمنطقي" و"الحجاج التمثيلي أو البلاغي".

فأما "الحجاج العقلي" فيمكن التمثيل له بقوله تعالى في سورة "الأنبياء ":قَالَ تَعَالَى:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ الأنبياء: 22

[1] ابوبكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، المغرب ، ط1 ، 2006، ص14 16

«قال المتكلمون: القول بوجود إلهين يقضي إلى المحال، .. لأنه لو فرضنا » وجود إلهين فلا بد أن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تسكين زيد وتحريكه، فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه، والآخر تسكينه، فإما أن يقع المرادان، وهو المحال لاستحالة الجمع بين الضدين... ولو وقع مراد أحدهما دون الآخر، فالذي وقع مراده، يكون قادرا، والذي لم يقع مراده يكون عاجزا، والعجز نقص، وهو على الله محال»

ويمكن التمثيل له أيضا بقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩ ﴾ مريم: 8-9

أما النوع الثاني من الحجاج فهو الذي يقوم على التشبيه والاستعارة وهو الأكثر ورودا في القرآن الكريم وهذا النوع من الحجة هو الأنسب للخطاب اللغوي وللمتلقي.

وقد بين طه عبد الرحمن الفرق بين النوعين:

«لا يخفى على ذي بصيرة أن نموذج الحجاج هو قياس التمثيل، إذ المعروف » أنه هو الاستدلال الذي يختص بالخطاب الطبيعي في مقابل البرهان هو الاستدلال الذي يختص بالقول الصناعي»[1]

ويمكن التمثيل لهذا النوع من الحجاج في القرآن بقوله تعالى ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨ ﴾ الروم: 28

[1] عبد الرحمان طه، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، ط1، ، 1998، ص 232

«ألا ترى أن الله لو قال لعباده إني لا أشرك أحدا من خلائقي في ملكي، لكان ذلك قولا محتاجا إلى أن يدل عليه فيه، ووجه الحكمة في استعماله فلما قال: ضرب لكم ... الآية، كانت الحجة من تعارفهم مقرونة لما أرادأن يخبرهم به»[1]

ويدخل في مفهوم التمثيل كل ما له علاقة بالمشابهة – التشبه والاستعارة بأنواعها–، كما تعد الكناية من وسائل الحجاج.

لقد أصبحت الحجة عصب الحياة المعاصرة، فاكتسحت مجالات السياسة والقضاء والدعاية والإشهار والسيكولوجيا والإديولوجيا... إذ لا غنى عنها ولا مفر منها في كل طرائق الإقناع التي يسلكها أهل الدعاية في صحفهم والأساتذة في محاضراتهم والسياسيون في خطاباتهم والفلاسفة في معالجتهم والعوام في تواصلهم... فإنها حاضرة حضورا قويا في كل مجالات التواصل، وهل هناك تواصل من غير حجاج؟

إن النضج الذي عرفته امجالات المعرفية كالمنطق واللسانيات وعلم النفس جعلت من الدراسات الحجاجية تحظى بأهمية كبرى، على الرغم من هذا الاهتمام المتزايد فإنه من التخصصات النادرة التي لم تحظ بالرعاية المطلوبة في الثقافة العربية، فقد أثبت الحجاج فعاليته وقدرته الفائقة على فك الكثير من مغاليق الخطاب، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن ماهية الحجاج؟ إن التطور الذي عرفته الأبحاث الحجاجية "نابع من استلهام الموروث البلاغي والفلسفي عند الغربيين من خلال إحياء التراث الفلسفي اليوناني وعند العرب من خلال إحياء التراث البلاغي والكلامي العربيين" [2]

[1] الفخر الرازي، التفسير الكبير، 83/8

[2] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، ص65

ثانيا: أسلوب الاستفهام

1- مفهوم الاستفهام:

ا- **لغة** :

مشتق من مادة (فهم) و قد عرّفه ابن منظور بقوله:« الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، و فهمت الشيء عقلته و عرفته، و فهمت فلانا و أفهمته و تفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء و استفهمه: سأله أن يفهمه، و قد استفهمني الشيء، فأفهمته و فهمته تفهيما »[1].

و قال ابن قتيبة « و استفهمته: سألته الافهام »[2]، فالاستفهام في أصل اللغة هو: طلب الفهم و كذا هو في اصطلاح النحويين " طلب الفهم " أيضا.

و نظيره: الاستخبار، هو طلب خبر ما ليس عند المستخبر، فهو مثل الاستفهام لفظا و معنى، و إن فرق بعضهم بينهما يجعل الاستفهام أخص من الاستخبار لأن المستخبر يجاب بشيء، قد يفهمه، أولا يفهمه، فإذا سأله ثانية فهو مستفهم، يقول، أفهمني ما قلته لي.

ب- اصطلاحا: هو أحد أكثر الأساليب الانشائية استعمالا و أهمية، و يراد به طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الذهن، و يكون الاستفهام بحروف معينة، و أسماء محددة لكل منها معنى خاص، إضافة إلى المعنى الذي وضعت من أجله و هو الاستفهام، و هو طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه.[3]

و يخضع استعمال أدوات الاستفهام لأنظمة نحوية حددتها كتب النحو، و الجهل بها يؤدي حتما إلى الوقوع في الخطأ عند تركيب الجملة الاستفهامية، و بالتالي حدوث خطأ في العملية التواصلية.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب ، دار الفكر، بيروت، اطبعة الثانية، مادة (فهم).

[2] ابن قتيبة الكوفي الدينوري، أدب الكاتب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، ط4 ، مصر ، 1382 – 1963 م ، ص 360.،

[3] عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه و إعرابه، ط1 ، 1461هـ 2000م ، الشام ، ص 8.

2 – أدوات الاستفهام:

و تنقسم إلى قسمين:

أ) – حرفا الاستفهام، ب) – أسماء الاستفهام.[1]

أ – حرفا الاستفهام:

1 – الهمزة: و هي أم باب الاستفهام، و لها صدر الكلام كما لغيرها من أدوات الاستفهام و (الهمزة) في الاستفهام حرف مشترك بمعنى أنه يدخل على الأسماء و الأفعال لطلب التصديق و الهمزة تقدم على (**الفاء**)، (**الواو**) **و** (**ثم**) و ذلك تحقيقا لأصالتها في الوقوع في صدر الجملة و هذا مذهب سيبويه فيها [2]هذا من ناحية أخرى فإن سيبويه ذكر أن الهمزة تخرج عن الاستفهام إلى معان أخرى كالإنكار و التسوية و التهكم و الاستبطاء، كما أنه يجوز حذف الهمزة.

2 – هل: و قد وردت قرابة ثمانين مرة في القرآن الكريم أكثرها مع الجملة الفعلية.[3]

و هي حرف استفهام يدخل على الأسماء و الأفعال لطلب التصديق الموجب لا غير و لا يستفهم به عن مفرد، أي لا يليه الاسم في جملة فعلية، فلا يقال : هل زيد أكرمت لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة و تختلف (هل) عن الهمزة ، فيما يلي:

- يطلب بالهمزة تعيين أحد أمرين و ذلك بالإتيان بـ (أم) المتصلة أما (هل) فلا .
- تدخل الهمزة على النفي أما (هل) فلا.
- الهمزة ترد للإنكار و التوبيخ و التعجب، بخلاف (هل).
- الهمزة تتصدر الجملة و تتقدم على فاء العطف، الواو، و ثم، ذلك خلاف (هل).
- الهمزة تعاد بعد (أم)، اما (هل) يجوز أن تعاد كما يجوز أن لا تعاد.
- الهمزة تدخل على (إن) و (هل) لا تدخل لعدم اتزان اللفظ.

[1] جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الاشياه و النظائر في النحو، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، 7/ 43 ، ط1 ، بيروت ، 1406 هـ - 1985 م .

[2] سيبويه ، الكتاب ، ج3 ، ص 187.

[3] المرجع نفسه ، ص 10.

- الهمزة قد يليها اسم بعده فعل أما (هل) فإنه لا يتقدم الاسم بعدها على الفعل إلا في الشعر.

- و قد تميزت (هل) عن غيرها من الأدوات بأنها:

- أن تأتي بمعنى (**قد**) و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا** ﴿١﴾ ﴾ **الإنسان:** ١ و و يقول سيبويه في ذلك « و كذلك هل تكون بمعنى قد »[1]

- وقد تأتي أيضا بمعنى (**إنَ**) و منه **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ** ﴿٥﴾ ﴾ **الفجر: 5**

- و تكون بمعنى (**ما**) **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ** ﴿١٠﴾ ﴾ **الرحمن: 10**

- و تكون للأمر كما في **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴿٩١﴾ ﴾ **المائدة: 91**

- و تجئ هل عاملة معنى النفي[2] و هو معنى ذكره البلاغيون و المفسرون.

- و قد تقع (هل) موقع (الهمزة) بأن:

– يؤتى بها في المعادلة عوضا عن (الهمزة) و ممن جوز هذا الاستعمال بن مالك و مثل لذلك بقوله صلى الله عليه و سلم لجابر الأنصاري « هل تزوجت بكرا أم ثيبا ؟»[3]

– الدلالة على النفي: من خصائص (هل) أنها تستعمل للنفي حتى جاز أن يجيء بعدها (إلا) قصدا للإيجاب **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ** ﴿٦٠﴾ ﴾ الرحمن: 60 ، أي جزاء الاحسان إلا الاحسان ، كما نستطيع أن نقول« أإله مع الله ؟ » و نقصد النفي.

ب – أسماء الاستفهام:

[1] المرجع نفسه، ج3 ، ص 189.

[2] ينظر : عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، د ط ، بيروت ، 1970م ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، ص 107.

[3] جمال الدين ابن مالك ، شواهد التوضيح و التصحيح ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، د ، ط ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ص209 .

1 – من: و هو اسم استفهام يستفهم به عن العاقل و تأتي على أربع أوجه: شرطية و استفهامية و نكرة موصوفة و اسما موصولا، ومن تكون للاستفهام عن العاقل و تعيينه باسم أو صفة: مثل قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾ التوبة: 111

و في (من) خلاف كثير بين النحاة و هذا الخلاف يمكن في المستفهم عنه، إن كان نكرة أو معرفة فإذا استفهم بها عن معرفة ففيه خلاف حيث يقول سيبويه: « اعلم أن أهل الحجاز يقولون: إذا قال الرجل: رأيت زيدا قالو من زيد؟ و إذا قالوا: هذا عبد الله؟ و أما بنو تميم فيرفعون على كل حال و هو أقيس الاولين »[1] و ذلك يعني أن الحجازيين يجرون (من) على الحكاية، و هذا إجراء الاسم بعد الاسم المتقدم ذكره، و أما بنو تميم فيرفعونه و قد وافقهم سيبويه الرأي و اما إذا استفهم بـ (من) عن نكرة فعندها ينظر إلى الموقف يقول سيبويه:« ففي حالة الوقف فالرفع واوا و النصب ألفا و الجر ياءا فإذا قلت : جاءني رجل قلت منو؟ و إذا قال رأيت رجلا قلت منا؟ و إذا قال مررت برجل قلت مني؟ و إذا كنيت كنيت العلاقة ... ولا يكون ذلك في معرفة »[2].

و قد توصل (من) بـ (إذا) و عندها تعامل ككتابة واحدة، و اما اعتبار (من) استفهامية، و (إذا) موصولة أو زائدة فهو رأي منسوب للكوفيين.[3]

[1] سيبويه، الكتاب ، ج2 ، ص 413.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص 408.

[3] ابن هشام، معني اللبيب، دار الفكر، ط 1،ص 432.

2 – (ما): اسم استفهام يقع على جميع الأجناس و هي بمعنى أي شيء، و هي تدل على الاستفهام كما تدل على غير الاستفهام، و هي في الاستفهام تدل على غير العاقل و على صفات العاقل، و مثل ذلك في **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ **طه: 17** و ذهب الفراء إلى القول بأن العرب قد استعملوا (ما) للعاقل على قلة و لم يشيع الاستعمال [1].

و يتفق النحاة على أن وقوع (ما) الاستفهامية موقع الجر يذهب الألف منها و ذلك نحو (إلام) و (فيم)، (بم)، (لم) و مثل ذلك **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ ﴾ **النبأ: 1**

- و توصل (ما) بـ (ذا) و قد اختلف العلماء في أمر (ماذا) فمنهم من يرى بأنها مركبة من (ما) للاستفهام و (ذا) اسم إشارة.
- و آخرون يرو بأن (ما) للاستفهام و (ذا) اسما موصولا.
- و يرى البعض أن (ما) للاستفهام و (ذا) زائدة.
- بينما يرى البعض الآخر أن المجموع (ماذا) اسما واحدا المعنى منه استفهام.
- و آخرون يرو بأن المجموع (ماذا) اسما واحدا بمعنى الذي.

3) – كم: هي اسم مبهم يستفهم بها عن العدد و تنصب من بعدها على التمييز نحو: كم قلما عندك ؟[2].

و قد اختلف النحاة في تركيبها، فذهب البصريون إلى انها مفردة، و قال الكوفيون: انها مركبة من (ما) و الكاف زائدة.

- و الدليل على اسميتها دخول حرف الجر عليها فنقول: بكم مررت؟ و قد تكون مضافا أو مضاف إليه.

- و تأتي على وجهين استفهامية بمعنى أي عدد؟ و خبرية بمعنى كثير، و قد اتفق النحاة على انها اسم و تختلف الخبرية عن الاستفهامية في خمسة أمور هي:

[1] الفراء، معاني القرآن، ج1 ، عالم الكتب، ص 241.

[2] ينظر : كتاب سيبويه : 4 / 228 ، و الجمل في النحو للزجاجي ص : 134 ، و المفصل في علم العربية ، ص 216 – 217 ، شرح المفصلي : 4 / 125.

1 – الخبرية تحتمل التصديق و التكذيب و ذلك بخلاف الاستفهامية.

2 – لا يقتضي المتكلم في الخبرية جوابا أما المتكلم بالاستفهامية فيقتضي جوابا، لأنها قائمة على الحواريين السامع و المتكلم.

3 – تمييز كم الخبرية مفرد أو مجموع نحو: كم قلما اشتريت ؟ ولا تكون تمييز الاستفهامية إلا مفردا و هذه النقطة الأخيرة من أهم نقاط الفرق بين الخبرية و الاستفهامية.

4 – تمييز الخبرية واجب الخفض و تمييز الاستفهامية منصوب.

5 – الاسم المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة بخلاف المبدل من الاستفهامية.

- قد تخرج (كم) الاستفهامية عن معنى الاستفهام إلى معان أخرى تفهم من السياق و التشابه بين الخبرية و الاستفهامية كبير، و ذلك من حيث اللفظ و التركيب و فيهما التباس كبير، و يذهب قطبي الطاهر إلى القول بأن دلالة (كم) على الخبر دلالة مجازية و الأصل دلالتها على الاستفهام.[1]

4) – كيف: و يستفهم بها عن الحال: و قد وردت أكثر من ثمانين مرة في القرآن الكريم [2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾ مريم: 29

و الاستفهام بـ (كيف) إما يكون حقيقيا نحو: كيف زيد ؟ أو مجازيا في مثل قوله تعالى ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾ فإنه أخرج مخرج التعجب و هي للسؤال عن الحال، قال سيبويه « و كيف على أي حال »[3].

5) – أي: هي اسم يستفهم بها عن العاقل و غير العاقل و للزمان و للمكان و تأتي على خمسة أوجه على النحو الآتي:

[1] قطبي الطاهر ، الاستفهام النحوي ، د . ط ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992،ص 105.

[2] عبد الكريم محمود يوسف ، اسلوب الاستفهام في القران الكريم غرضه و اعرابه، ص 11.

[3] المصدر السابق ، ج4 ، ص 233.

أن يأتي بمعنى الشرط و ذلك نحو قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾ الإسراء: 110

- و يأتي استفهاما و ذلك نحو قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾ التوبة: 124
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾ التوبة: 124
- و يأتي كذلك بمعنى الاسم الموصول نحو قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ﴾ مريم: 69
- أن تكون وصلة إلى نداء ما فيه (ال) نحو قولك: يا أيها الرجل أقبل.

6) – أيان، متى: هما ظرفان يستفهم بهما عن الزمان المستقبل و قد ذكر سيبويه أن (أيان) ك (متى) و يبقى الفرق بينهما أن: (متى) يستفهم بها عن كل زمان و (أيان) يستفهم بها عن المستقبل فقط كما تستعمل (متى) للشرط.

و قد وردت (أيان) ست مرات في القرآن الكريم [1] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ ﴾ الذاريات: 12 ووردت (متى) أيضا تسع مرات في القرآن الكريم كقوله تعالى﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ البقرة: 124

[1] المصدر السابق، ص 11

7) – أين و أنَى : و هما من ظروف الاستفهام ، ف (أين) يستفهم بها عن زمن المكان و هو اسم تدخل عليه (ما) فتكون زائدة و ذلك للتوكيد و فيها قال سيبويه« أين يستفهم بها عن المكان »[1] و تكون بمنزلة (حيث) كقولك : « أين أنزل ؟ ، أين أبيت؟» .

أما (أنَى) فيستفهم بها عن المكان أيضا و تأتي على نوعين استفهامية و شرطية و تأتي بمعنى (من أين) مثلما وردت في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧ ﴾ آل عمران: 37

كانت هذه لمحة موجزة عن أدوات الاستفهام ، موضوع الاستفهام موضوع واسع ، قد أشبعه البلاغيون و النحويون بحثا و تقليبا.

3 – غـايـات الاستفهام:

الغرض الأصلي للاستفهام كما سبق، هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوما عند الطلب، إلا أن الاستفهام يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى نعرفها من سياق الكلام: و منها [2]:

ا - **التشويق**: و ذلك حين يراد تشويق المخاطب إلى أمر ما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ ﴾ الصف: 10

ب - **الانكار**: حيث يراد انكار المستفهم عنه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤ ﴾ البقرة: 44

ج - **الفخر**: حيث يكون المستفهم عنه أمرا عظيما يفخر به المتكلم كما يقول الشاعر العرجي:

أَضاعُوني وأَيَّفَتى أَضَاعُوا ليـومِ كرِيهة وسَدَادِ ثَغرٍ

[1] سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 220.

[2] المرجع نفسه ، ص 17.

د - التقرير: حيث يطلب من المخاطب الإقرار بما بعد أداة الاستفهام، أو يريد المتكلم إثباته [1]: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزمر: 36

هـ - التمني: حين يكون ما بعد الأداة (هل) بعيد المنال أو مستحيلا**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأعراف: 53

و - الاستبطاء: حين يراد التعبير عن الشعور باستبطاء حصول المستفهم عنه [2] **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: 214

ز - التهويل و التعظيم: حين يراد الدلالة على هول المستفهم عنه**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ ﴾ الحاقة: 1-2

قوله أيضا: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ ﴾ **القارعة: 1-2**

ح – التوبيخ: حين يكون المستفهم عنه مستفهما حصوله كما يقول أحمد شوقي:

إلامَ الخُلفُ بَينَكُمُ إلاما وَهَذي الضَجَّةُ الكُبرى عَلاما

وَفيمَ يَكيدُ بَعضُكُمُ لِبَعضٍ وَتُبدونَ العَداوَةَ وَالخِصاما وَأَينَ

[1] ابن فارس أحمد الصاحبي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، د ت ، ص 293.

[2] المرجع نفسه ، ص 18

ط - النفي: حين يراد نفي ما بعد الأداة (المستفهم عنه) و تكون الأداة بمعنى (لا) [1]، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة: 255

ي - التعجب: حين يكون المستفهم عنه مثيرا للعجب و الدهشة عند المتكلم ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ مريم: 29

س - التحقير: حين يكون المستفهم عنه وضيعا لدى المتكلم:

فَدَعِ الوَعيدَ فما وَعيدُكَ ضائري أطَنينُ أجْنِحَةِ الذُّبابِ يَضيرُ

ع - الاستعباد: حين يستعبد المتكلم ما بعد الأداة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يس: 48

ف - التسوية: و يعبر عن غرض التسوية بقوله و يكون استخبارا، و المعنى تسوية، نحو **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ البقرة: 62

فمن وراء الاستفهام يكمن غرض آخر هو التسوية، و حقيقة التسوية هنا هي أن الإنذار و عدمه سواء بالنسبة إليهم [2].

[1] انظر ، على سبيل المثال البحر المحيط ، ج8 ، ص 388 و البرهان في علوم القرآن 3 ، ص 434.

[2] المرجع نفسه ، ص 295.

فتوجد العديد من الأغراض التي يخرج عنها الاستفهام عن غرضه الأصلي و هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوما عند الطلب و من بين الاغراض: التنكير، التفجع، التحقيق، الاسترشاد ...الخ.

4 – أهمية الاستفهام:

لأسلوب الاستفهام أهمية بالغة في اللغة العربية، و تكمن أهميته في الدور الذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر، ووظيفته التبليغية و الحجاجية، و إذا كان معلوما أن التواصل لا يتم إلا استنادا إلى التخاطب، فإن الاستفهام أبرز أدوات هذا التخاطب، لأنه يجسد دورة التخاطب حيث يتوافر على مرسل و مرسل إليه و رسالة، و لما كان الاستفهام خطابا، تنوعت أغراضه، فقد يكون حقيقيا، و قد يكون مجازيا و هو في كل هذا تتغير أشكاله و أغراضه ، الأمر الذي جعل النحاة يدرسونه دراسة تحليلية و لهذا كان الاستفهام موضوعا من الموضوعات النحوية المهتمة، حيث إن من يتصفح المصادر النحوية يجدها تخصص له حيزا كبيرا في طياتها، كما يجدها تزخر بكم هائل من أقوال أوائل النحاة عن أدوات الاستفهام.

ثالثا: حجاجيه الاستفهام و أبعادها الدلالية في القرآن الكريم:

تتمثل معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم في القرآن الكريم الذي يخاطب به الناس أجمعين لإقناعهم بالتخلي عن معتقداتهم و الإيمان بالمعتقد الوحيد.

و قد تعددت مظاهر هذه الاقناع في القرآن الكريم و هو مبني على أساس اللغة ؛ فيمكن اعتبار القرآن – بهذا الوصف – خطابا حجاجيا نظرا لكونه جاء ردا على خطابات ، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في " الايمان بالله الواحد الأحد".

و تقدم الحجج بمستويات مختلفة و لقد ورد جذر (ح ج ج) في القرآن الكريم في 33 موضعا، و يمكن بيانها في الجدول التالي[1]

الآية	السورة	رقم السورة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾	البقرة	258
﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾	ال عمران	61
﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾	ال عمران	20
﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	ال عمران	66
﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾	الانعام	80
﴿ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾	البقرة	76
﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾	البقرة	139
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	ال عمران	65
﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	ال عمران	73

[1] لمهابة محفوظ ، الحجاج دراسة مصطلحية ، مجلة اللغة العربية ، دمشق ، ع 71 ، ج3 ، ص 139 ، 531.

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾	الانعام	80
﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ ﴾	الشورى	16
﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾	غافر	47
﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ ﴾	البقرة	150
﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ ﴾	النساء	165
﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ ﴾	الأنعام	83
﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	الأنعام	149
﴿ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	الشورى	15
﴿ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ ﴾	الشورى	16
﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	الجاثية	25

ومن خلال هذا الجدول يتبين أن مجموع المواضع التي ورد فيها المصطلح"المحاجة" بلغ عشرين موضعا، وقد وردت (حجج) في اثني عشر موضعا في معنى"الحج" الذي هو الشعيرة و موضع واحد في معنى السنوات.

و قد تعددت مظاهر الحجاج في القرآن الكريم إذا يستحيل الوقوف عليها كلها في هذا البحث و لذا نقف عند التمثيل لبعض هذه الآليات الحجاجية سواء بلاغية أو لغوية ... ألا و هي حجاجيه الاستفهام من خلال تطبيقها على " سورة الأنبياء " فيعد الاستفهام من أكثر الأساليب الانشائية استعمالا و أهمية و يراد به طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الذهن ، وله أدوات متعددة لذلك نجد بعض السور القرآنية افتتحت به **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ **هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ** ۝١ ﴾ الغاشية: 1 و **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ ﴾ الشرح: 1و لقد ورد الاستفهام في القرآن

الكريم لقدرته على ايصال المعاني للمخاطبين، فالاستفهام القرآني بأسلوبه و منهجه من أجود الطرائق التعليمية إثارة للانتباه و توجيها للمتعلمين إلى تلقي العلم.

– و فيما يلي نستعرض بعض النماذج المختلفة من القران الكريم التي احتوت على أسلوب الاستفهام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ البقرة: 6

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٥ ﴾ آل عمران: 25

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ النساء: 82

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾ المائدة: 50

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١ ﴾ الأنعام: 21

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ ﴾ الأعراف: 191

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ ﴾ هود: 51

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ ﴾ يوسف: 71

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ ﴾ النحل: 17

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ ﴾ الكهف: 12

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ ﴾ المؤمنون: 86

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ القصص: 65

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القلم: 36

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ عبس: 18

الفصل الثاني

حجاجية الاستفهام في سورة الانبياء

أولا– البنية الحجاجية لسورة الأنبياء

ثانيا– نماذج عن حجاجيه الاستفهام في سورة الأنبياء

أولا: البنية الحجاجية لسورة الأنبياء

سورة كريمة آياتها مائة و اثنا عشر آية و هي مكية، و هي كسائر السور المكية تتناول موضوع العقيدة الاسلامية في ميادينها الكبيرة المختلفة، الرسالة الوحدانية، البعث، الجزاء، كما تتحدث عن الساعة و شدائدها، و القيامة و أهوالها، و عن قصص الأنبياء و المرسلين.

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن غفله الناس عن الآخرة و عن الحساب بينما القيامة تلوح لهم و هم في غفلة عن ذلك اليوم الرهيب و قد شغلتهم مغريات الحياة عن الحساب المرقوب.

ثم انتقلت إلى الحديث عن المكذبين، و هم يشهدون مصارع الغابرين، و لكنهم لا يعتبرون و لا يتعضون، و تناولت السورة دلائل القدرة في الأنفس و الآفاق، لتنبه على عظمة الخالق المدبر الحكيم لتربط بين وحدة الكون ووحدة الإله الأكبر.

و يعد عوض الأدلة و البراهين، الشاهدة على وحدانية رب العالمين تذكر السورة حال المشركين و هم يتلقون الرسول عليه السلام بالاستهزاء و الانكار، و تعقب على ذلك بسنة الله الكونية في إهلاك الطغاة المجرمين.

ثم تناول السور قصص بعض الرسل، و تتحدث بإسهاب عن قصة سيدنا إبراهيم مع قومه في أسلوب مشوق ، فيه نصاعة البيان و قوة الحجة و البرهان ما يجعل الخصم يقر بالهزيمة في خشوع و استسلام.

و تتابع السورة الحديث عن الرسل الكرام، فتتحدث عن " إسحاق ، يعقوب، لوط، نوح، داود، سليمان، أيوب، إسماعيل، إدريس، ذي الكفل، ذا النون، زكرياء، عيسى" بإيجاز، مع بيان الاهوال و الشدائد التي تعرضوا لها، و تختم بيان رسالة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم و ما ميز هذه السورة عن غيرها من السور المكية، انها أبرزت كلمة التوحيد التي نزل بها القرآن الكريم كما اوردها دعاتها من الأنبياء و المرسلين السابقين، فقد نزلت لتثبيت عقيدة التوحيد بالحجاج و الادلة، و كلها تتصل بعظمة الله عز وجل و قدرته، و هي الغاية التي يقوم عليها الحجاج في تحقيق الاقناع بالرأي أو بالدعوى المقدمة.

أما دعوى المشركين فقد قامت على تكذيب الرسول و آيات الذكر الحكيم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأنبياء: 5

ليتجلى من خلال هذه الآية اضطرابهم و حيرتهم و عدم ثبوتهم على حجة معينة، و هذا ما جعل الله عز و جل يدعوهم في هذه السورة إلى أن يأتوا بدليلهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنبياء: 24

و قد وظف في سورة الانبياء من الحجاج ما يخدم الدعوى (أ) دعوى التوحيد، و ما يتعلق بالدعوى (ب) دعوى الشرك.

و قد جاء البناء الحجاجي للسورة على الشكل التالي:

- الآيات (1 – 47) و فيه تأكيد عظمة الله و وحدانيته.
- الآيات (48 – 91) و فيه عرض للأنبياء و المرسلين الذي شرفهم الله بتبليغ الناس و حملهم على كلمة التوحيد بدءا بخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ثم ذكر سبحانه من سبقه إلى هذه الدعوى، ليبين الله تعالى هاهنا أن الرسل الذين سبقوا النبي قد استهزئ بهم و انكرت دعواهم كما فعل الكفار بمحمد صلى الله عليه و سلم.
- الآيات (92- 112) و فيه عودة إلى كلمة التوحيد مع بيان أن الخطاب موجه للناس كافة مع التأكيد على يوم القيامة، يوم الحساب و العقاب و أن النبي جاء رحمة للعالمين يدعو إلى ما فيه خير للناس أجمعين.

–و بذلك يمكن تمثيل الهيكل العام للسورة كالتالي:

المقطع الأول: الآيات (1 – 47) : هي عبارة عن مقدمة يتحدث فيها الله تعالى عن اقتراب يوم الحساب و التأكيد على وحدانية الله و الآيات في هذا المقطع جاءت كحجج تخدم دعوة سيد المرسلين.

المقطع الثاني: الآيات (48 – 92): تحدثت عن قصص الأنبياء مع التركيز على حجاج سيدنا إبراهيم لقومه، ثم عودة إلى التأكيد على الوحدانية الإلهية.

المقطع الثالث: الآيات (93 – 112): عودة لمخاطبة الرسول تكملة للمقطع الاول تتميز بالعودة إلى التذكير بيوم الحساب و الدعوة إلى كلمة التوحيد.

ومن خلال بيان الهيكل العام للسورة نلاحظ ذلك الانسجام و التناسق بين مقاطعها، فالمقطع الأول كان حول عقيدة التوحيد ليأتي المقطع الثاني عرضا للأنبياء و المرسلين الذين دعوا إليها، لينتهي الأمر في المقطع الثالث إلى كلمة التوحيد، حيث جاء النبي ليهدي الناس إلى عبادة الخالق عز و جل.

ثانيا: نماذج عن حجاجيه الاستفهام في سورة الأنبياء

إن الذي ينبغي أن يقال في هذا الصدد (الاستفهام) أن سبحانه لا يستفهم خلقه عن شيء، و إنما يستفهم ليقررهم و يذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء، و هذا أسلوب بديع انفرد به الخطاب القرآني، و المهم أن نعلم هنا أن السؤال إنما يكون لطلب العلم و هو على الله تعالى محال، و أسلوب الاستفهام الوارد في القرآن الكريم، ليس هو استفهام على سبيل الحقيقة و إنما هو وارد لمعان أخرى.

فالاستفهام هو طلب المعرفة حول شيء معين، و له دور كبير في العملية الحجاجية « نظرا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام و خصائصه »[1] و هذه الأمور أيضا من سمات « الاستفهام البلاغي في القرآن الكريم بحيث أنه يخدم مقاصد الخطاب القرآني و يلعب دورا اساسيا في الإقناع بالحجة »[2].

و هو من أكثر الأساليب الانشائية ورودا في القرآن الكريم، فالجدل القرآن يقتضي أن يكون هناك سائل و مجيب " و لعل الحوار الذي كان يدور بين المرسلين و أقوامهم تطلب وجود الصيغة الاستفهامية و التي قد اتخذت من جانب أنبياء الله وسيلة للإقامة بالحجة و الاقناع، امتزجت بالنصيحة في غالب الأحيان و ذلك عكس ما تلقوه من جانب أقوامهم "[3].

و الاستفهام هو طلب حصول أمر أو شيء في ذهن المتكلم عن طريق أدوات الاستفهام ، و تعد الهمزة أكثر و أشهر الأدوات استعمالا في القرآن و خصوصا ما يتعلق بالحجاج كما أن « الغالب في

[1] عبد الحليم بن عيسى ، البيان الحجاجي في اعجاز القرآن الكريم ، سورة الأنبياء انموذجا ، مجلة التراث العربي ، العدد 102 ، نيسان 2006 ، ص 192.

[2] حواس مسعودي ، البنية الحجاجية في القرآن الكريم ، سورة النحل نموذجا ، مجلة اللغة و الأدب ، معهد اللغة العربية و آدابها ، العدد 12 ديسمبر 1997 ، ص 342.

[3] محمود السيد حسين ، روائع الإعجاز في القصص القرآني ، دراسته في خصائص الأسلوب القصصي المعجز ، المكتب الجامعي الحديث ، محطة الرحل ، الاسكندرية ، ص 259.

أسلوب القرآن أنه يخرج إلى أغراض أخرى غير الاستفهام* كالتعجب، الانكار، التوبيخ، إلى ما ذلك معا لوحظ عند الحوار القصصي بين رسل الله »[1].

و قد وظف الاستفهام البلاغي في سورة الأنبياء في واحد و عشرين (21) موضعا معظمه تم بأداة الهمزة ، و معظم الأساليب التي وظفت في السورة كانت عبارة عن استفهام إنكاري توبيخي.

أ – الأنكار:

هو إبداء النفور و الرغبة عن أمر ما لسبب من الأسباب و غرضه أن ينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل و يرتدع و يعي بالجواب، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل ما لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له فافعل فيفضحه ذلك.

1 / قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأنبياء: 3 الآية عبارة عن استفهام انكاري، يقول القرطبي في تفسيره « أفتأتون السحر» أي: إن الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم سحر فكيف تجيئون إليه و تتبعونه؟ فأطلع الله نبيه على ما تناجوا به في اللغة كل مموه لا حقيقة و لا صحة، " و انتم تبصرون " أنه إنسان مثلكم، و قيل أفتعدلون إلى الباطل و أنتم تعرفون الحق؟ و معنى الكلام التوبيخ.[2]

فالآية تمثل بنية حجاجيه ألا و هي اتهام سيدنا محمد بالسحر و لكنهم يأتون و يستمعون إليه، فقال تعالى مجيبا لهم عما افتروه و اختلقوه من الكذب **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾** الأنبياء: 4 أي: الذي يعلم ذلك، لا يخفى عليه خافية، و هو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خير الأولين و الآخرين، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي مثله، إلا الذي يعلم السر في

* أحصاها السيوطي في واحد و ثلاثين غرضا ، ينظر الاتقان في علوم القرآن ، 3 / 234.

[1] المرجع السابق ، ص 266

[2] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي و اخرون،مج14، دط، ص 175.

السموات و الأرض، و قوله ﴿ **وهو السميع العليم**﴾ أي السميع لأقوالكم، و العليم بأحوالكم، و في هذا التهديد لهم ووعيد.[1]

2 / قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ الأنبياء: 6 و الآية عبارة عن استفهام انكاري و لقد جاءت في سياق طلب المشركين لمعجزة، مثلما أوتي به المرسلون السابقون من المعجزات، و هو بيان حجاجي يصور فيه الله سبحانه و تعالى عناد المشركين و كفرهم حتى و لو أعطاهم عز و جل ما يقترحون لن يؤمنوا، و الحجة هاهنا تتعلق بالأمم السابقة التي منحت ما أرادت و لكنها لم تؤمن، ولو أرادوا الايمان لاكتفوا بالمعجزات التي أيد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالبنية الحجاجية هنا ارتبطت بالتمثيل بالأمم السابقة التي كان لها ما أرادت من المعجزات و لكنها لم تؤمن فهلكت.

3/ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنبياء: 29

و قال أيضا: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ چ الأنبياء: ٣٠ فالآية عبارة عن استفهام انكاري[2] و هنا يؤكد الله عز و جل و ينبه على قدرته التامة و سلطانه العظيم في خلقه الأشياء و قهره لجميع المخلوقات، فقال: ﴿**أو لم ير الذين كفروا** ﴾ أي الجاحدون لآلهته، العابدون غيره، ألم يعلموا أن الله هو خالق كل شيء، هو المستبد بالتدبير فكيف يليق أن يعبد غيره أو يشرك به ما سواه، ﴿**ألم يرو السموات و الأرض كانتا رتقا** ﴾[3] أي: كان الجميع متصلا ببعضه البعض متلاصقا متراكما، ففتق هذه من هذه، فجعل السموات سبعا، و الارض سبعا، و فصل بين سماء

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم ، ط1 ، 1460هـ - 2000م، ص 1232.

[2] أسلوب الاستفهام في القرآن العظيم ، غرضه و اعرابه ،، ص 76.

[3] المصدر السابق ، ص 1235.

الدنيا و الارض بالهواء، فأمطرت السماء و أنبتت الأرض، ومع هذا كله كفروا بذكره، فالآية تمثل نبيه حجاجيه و تتمثل في قدرة الله عز و جل في خلقه للأشياء.

4 / قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأنبياء: 24 فالآية عبارة عن استفهام غرضه الانكار و هنا الله عز و جل يخاطب سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم فيقول ﴿**و ما جعلنا لبشر من قبلك** ﴾ أي: يا محمد، و يقصد بالخلد الدنيا، فكل من عليها فإن إلا وجه ربك ذو الجلال و الإكرام، فالآية تحمل بنية حجاجيه و تتمثل في أنه لا يوجد إنسان خالد و أن كل من على الأرض فهو فان، و قد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات و ليس بحي إلى الآن لأنه بشر سواء كان وليا أو نبيا أو رسولا، و قوله ﴿**أفإن مت**﴾ أي: يا محمد ﴿**فهم الخالدون** ﴾ أن يؤملوا أن يعيشوا بعدك، لن يكون فكل إلى الفناء[1]، و لهذا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنبياء: 35

5 / قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٤ فالآية عبارة عن استفهام انكاري، فهنا الله عز و جل يخبرنا عن المشركين و غرورهم و حملهم على ما فيه من الضلال، أنهم متعوا في الحياة الدنيا و نعموا و طال عليهم العمر فيها حتى اعتقدوا أنهم على شيء، ثم قال الله عز وجل واعظا لهم :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنبياء: 44 فالآية أيضا تحمل بنية حجاجية ألا و هي قدرة الله عز وجل على اهلاكه الأمم الكاذبة و القرى الظالمة و إنجائه لعبادة المؤمنين و لهذا قال: ﴿ **أفهم الغالبون**﴾ يعني: بل هم المغلوبون الأسفلون الأرذلون.

[1] المصدر السابق ، ص 1237.

6 / قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنبياء: 59

فالآية عبارة في استفهام انكاري، وهنا كان رد قوم الخليل إبراهيم عليه السلام لما فعله بأصنامهم، من الإهانة و الإذلال الدال على عدم ألهتها و على سخافة عقول عابديها، فالآية هنا تحمل بنية حجاجيه ألا و هي أنه لا وجود لإله غير الله الواحد الأحد، وسيدنا إبراهيم هنا يبين لهم جهلهم و قلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها الضر فكيف يطلب منها شيء من ذلك ؟ **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾** الأنبياء: 62 أي الصنم الكبير الذي تركه و لم يكسره ليبين لهم و يقدم لهم الحجة ليعترفوا ان تلك الأصنام لا تنطق لأنها جماد[1].

7 / قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٦ فالاستفهام هنا غرضه الانكار، هنا يتساءل إبراهيم في حضرة القوم كيف أنهم يعبدون ما لا ينفعهم و لا يضرهم، فيدعوهم في الوقت نفسه إلى التعقل، فالآية تحمل بنية حجاجيه تتمثل في دعوة إبراهيم الخليل قومه إلى الإيمان بالله عز و جل، و الابتعاد عن عبادة الأصنام التي لا تنفع و لا تضر و هي لا تنطق أصلا، كما يدعوهم إلى التعقل ﷺ **﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾** الأنبياء: ٧٦ ، أي أفلا يتدبرون ما انتم فيه من الضلال و الكفر و الجهل، فأقام عليهم الحجة و ألزمهم بها[2]، و لهذا **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾** الأنعام: 83

[1] المصدر السابق : ص 1240

[2] المصدر السابق : ص 1242

ب) التحقير: و يراد به استصغار الشيء أي التقليل من شأنه، و هو أن يستصغر شخص شخصا آخر أو ما يصدر عنه من معروف أو هدية، وقد يكون التحقير أيضا للذات و لقد ورد في قوله:

1 –قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٦، فالآية عبارة عن استفهام تحقيري و يخرج إلى السخرية، ولقد ذكر الله تعالى أن الكفار إذا رأوا النبي ما يتخذونه إلا هزوا، أي مستهزئين به و مستخفين برسالته، و يقولون أهذا الذي يذكر آلهتكم أي يعيبها و ينفي أنها تشفع لكم و تقربكم إلى الله زلفى .... و هم مع هذا كله كافرون بذكر الرحمان، فالخطاب في قوله: ﴿**و إذا رءاك** ﴾ للنبي و هنا الكفار أرادوا الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه و سلم كما**قَالَ** تَعَالَى:﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ الفرقان: ٤١.

2 –قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ الأنبياء: 52

الاستفهام في هذه الآية غرضه التحقير، و في هذه الآية يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام بعدما أتاه رشده من قبل، أي: و هو صغير، فألهمه الحق و الحجة على قومه و كان أهلا لذلك، فهذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره الإنكار على قومه في عبادة الأصنام أي معتكفون على عبادتها من دون الله عز و جل، و كان من المفروض أن تأتي الإجابة هنا عن هذا السؤال بما يؤثر على النفوس و يستحيل العقول، لكنها كانت غير ذلك **قَالَ تَعَالَى**:﴿ **قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ** ﴿٥٣﴾ ﴾ الأنبياء: 53إذ نلاحظ غياب العقل في هذه الحجة، فعبادة الأصنام عندهم كانت مجرد تقليد لآبائهم بغير برهان أو دليل، ولا يعلمون أنهم في ضلال مبين، و لهذا **قَالَ تَعَالَى**:﴿ **قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾** ﴾ الأنبياء: 54 لكن قوم إبراهيم لم يكتثروا لهذه

الحجة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الأنبياء: 55 يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبا أو محقا فيه؟ فإنا لم نسمع به قبلك لتأتي الإجابة مقترنة بـ " بل " و هو رابط حجاجي يفيد الاضراب الابطالي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنبياء: 93 ، أي ربكم الذي لا إله غيره، هو الذي خلق السموات و الارض و ما حوت من المخلوقات الذي تبدأ خلقهن، و هو الخالق لكل شيء، و في هذه الآية بنية حجاجيه تتمثل في وحدانية الله عز و جل و أنه الواحد الأحد، خالق كل شيء " **و أنا على ذلكم من الشاهدين** " أي: انا أشهد أنه لا إله غيره و لا رب سواه.[1]

و لكن نجد قومه يتجاوز هذه الحجج و يعاقبون سيدنا إبراهيم بأشد العقوبات بإلقائه في النار لتظهر بعد ذلك قدرة الله تعالى هي آية أخرى للمكذبين على عظمته.

ج) **التوبيخ:** وهو نفور و استنكاز فعل مستهجن أو سلوك خارج عن العرف مما لا يستصاغ فإذا ارجع عن خطئه المرتكب و عرف قبحه و استنكار الناس له، و أما إذا تمادى في غيه وبخ على هذا الإصرار و يؤمر بان يستبدل على جوازه ، و هذا ما ينطق على قوم لوط و ما كان بينه و بينهم من جدال .

1- قال تعالى :﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنبياء: 50 فالآية عبارة عن استفهام توبيخي، و يبغي القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل بين يديه، و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، و هنا الله عز وجل انكر عليهم تماديهم في انكار النبوة رغم الحجج و البراهين المقدمة لهم ﴿**أفأنتم له منكرون** ﴾ أي: أفتنكرونه و هو في غاية الجلاء و الظهور؟ و هنا الآية أيضا تحمل بنية حجاجيه ألا و هي التأكيد على عظمة الله عز و جل و قدرته، و بيان مكانة كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل.

[1] تفسير القرآن ، ابن كثير ، ص 1240.

د) انكاري توبيخي:

1 –قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠

فالآية عبارة عن استفهام انكاري توبيخي، يدعوا الله عز وجل من خلاله الكفار إلى التعقل و التأمل في موقفهم المعارض للرسول صلى الله عليه وسلم « أي أن هذا الكتاب فيه شرفكم و صيبتكم، أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء، أو حسن الذكر كحسن الجوار و الوفاء بالعهد وصدق الحديث ..» فالآية تحمل بنية حجاجيه و تتمثل في التنبيه على شرف القرآن الكريم و دعوتهم لمعرفته و معرفة قدره، أي ان هذه النعمة يجب أن تتلقوها بالقبول و هي دعوة صريحة إلى التعقل و إعادة النظر و التدبر أكثر.[1]

2 –قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٣ الآية عبارة عن استفهام انكاري توبيخي[2]، و هنا الله عز و جل ينكر من اتخذ من دونه آلهة، أي أهم يحيون الموتى و ينشرونهم من الأرض؟ فهم لا يقدرون على شيء من ذلك، فكيف جعلوها لله ندا و عبدوها معه، فالآية عبارة عن بنية حجاجيه تتمثل في أنه لا إله غير الله عز و جل و أن الله عز و جل ينكر كل ما يتخذ من دونه إلاها، ثم أخبر الله تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات و الارض، فسبحانه و تعالى تنزه عن الذين يفترون و يأفكون علوا كبيرا[3].

3 –قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ الأنبياء: 24 فالآية أيضا عبارة عن استفهام غرضه الانكار و التوبيخ، و في هذه الآية يخاطب الله عز وجل محمد صلى الله عليه و سلم و يقول قل يا محمد: " **هاتوا برهانكم** "أي دليلكم على ما تقولون، " **هذا ذكر من معي** " يعني القرآن "، و "

[1] أبو حيان ، البحر المحيط ، بيروت ، دار الفكر ، 1992 –ج7، ص 412

[2] عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، غرضه و إعرابه ، ص 86.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن ، ص 1234.

ذكر من قبلي " يعني الكتب المقدسة على خلاف ما تقولون و تزعمون ، فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، ناطق بأنه لا إله إلا الله، و لكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق، فأنتم معرضون عنه[1]، فكل نبي بعثه الله يدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، و المشركون لا برهان لهم و حجتهم داحضة عند ربهم و عليهم غضب أو لهم عذاب شديد، فالآية تحمل بنية حجاجيه و تتمثل في وحدانية الله عز وجل، و الدعوة إلى الإيمان به و برسله، و كتبه و من يكفر بذلك فله عذاب آليم، و غضب شديد.

4 – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الأنبياء: 55 و الآية عبارة عن استفهام انكاري توبيخي، أي: الكلام الصادر عنك تقوله لاعبا أو محقا فيه؟ فإن لم نسمع به قبلك، و كان هذا رد قوم إبراهيم على ما فعله بآلهتهم، رغم كفرهم و تمسكهم بعبادة الأصنام، التي ورثوها عن آبائهم.

هـ) التسوية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الأنبياء: 109فالاستفهام في هذه الآية غرضه التسوية " **فإن تولو**" أي تركوا ما دعوتهم إليه هو وحدانية الله عز وجل « **فقل آذنتكم على سواء**» أي: أعلمتكم أني حرب لكم، كما أنكم حرب لي، بريء منكم كما أنكم براء مني، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الأنبياء: 109أي: هو واقع لا محالة، و لكن لا علم لي بقربه و لا ببعده، فالله تعالى وحده فقط يعلم الغيب جميعه، و يعلم ما يظهره العباد و ما يسترون، يعلم الظواهر و الضمائر، و يعلم الستر و ما يخفى و يعلم ما يعمل الناس في أجهارهم و أسرارهم، و سيجزيهم على ذلك، فالآية تحمل بنية حجاجيه و تتمثل في ان الله عز وجل وحده يعلم ما

[1] المصدر السابق ، ص 1235

سيكون، ووحده يعلم الغيب و يعلم ما في قلوب الناس، و ما في أجهارهم، و كل واحد سيجزى على ذلك.

و) **الاستعباد:** في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنبياء: 38 هنا الاستفهام غرضه الاستعباد، و يخبر الله تعالى في هذه الآية عن المشركين أنهم يستعجلون أيضا بوقوع العذاب بهم، تكذيبا و جحودا و كفرا و عنادا و استعبادا، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٨ فلو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا، و لو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم و من تحت أرجلهم ، فالعذاب محيط بهم من جميع الجهات، و لا ناصر لهم.[1]

ز) **التقرير:** و هو جعل المخاطب على الاقرار و الاعتراف بأمر يعرفه [2] و يشترط أن تسبقه همزة الاستفهام، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ الأنبياء: 62 فالاستفهام في هذه الآية غرضه التقرير فالمطلوب هنا الإقرار بالفاعل و ليس بالفعل و بدليل قول إبراهيم لهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنبياء: 63

يقول الزمخشري:« هذا من معاريض الكلام و لطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان راضية من علماء المعاني، و القول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، و إنما قصد تقريره لنفسه و إثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة و تبكيتهم، و هذا كما لو قال لك صاحبك و قد كتبت كتابا بخط رشيق و أنت شهير بحسن الخط: أأنت كتبت هذا و صاحبك أمي لا يحسن الخط و لا يقدر إلا على خرمشة فاسدة، فقلت له

[1] المصدر السابق ، ص 1238.

[2] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج 2، ص 2331.

بل كتبته أنت، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك و إثباته للأميَ أو المخرمش »[1]

فإبراهيم من خلال الآية المذكورة يدعو قومه في استهزاء و سخرية إلى سؤال آلهتهم عن من فعل بهم هذا، لكنهم يجيبون بما هو تأكيد و إقرار للحجة التي قدمها سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ح) **خروج الاستفهام للأمر** : و لقد وردت في:

1- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٠ هنا حرف الاستفهام خرج للأمر[2] و علمناه صنعة لبوس و تعني: صنعة الدروع قال قيادة إنما كانت الدروع قبله صفائح و هو أول من سردها حلقا كما **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾** سبأ: ١١ أي لا توسع الحلقة فتقلق المسمار و لا تغلط المسمار فتقد الحلقة و لهذا قال " **لنحصنكم من بأسكم** " تعني في القتال، عندما تقاتلون " **فهل أنتم شاكرون** " أي نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعلمه ذلك من أجلكم.

2- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٨ فالاستفهام في هذه الآية أيضا خرج إلى الأمر، و هنا يأمر الله عز وجل رسوله (ص) أن يقول للمشركين **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾** الأنبياء: 108أي: متبعون على ذلك مستسلمون متعادون

[1] الزمخشري ، الكشاف ، 577/2.

[2] عبد الكريم عبد الرحمن، تفسير القرآن الكريم ، غرضه و اعرابه ، ص 86.

له[1]، " فإن تولوا " أي تركوا ما دعوتهم إليه ، ففي الآية بنية حجاجيه تتمثل في الدعوة إلى التصديق بوجود الله عز وجل، و أنه إلاه واحد لا غير، وهو خالق السموات و الأرض.

ط) النفي: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾** ﴾ الأنبياء: 42 في الآية استفهام لنفي وجود من يستطيع أن يقف في وجه إرادة الله، وهنا يذكر الله تعالى نعمته على عبده في حفظه لهم بالليل و النهار، و حراسته لهم بعينه التي لا تنام، و يقول: " **بل هم عن ذكر ربهم معرضون** " أي: لا يعترفون بنعمة الله عليهم إحسانه إليهم، بل يعرضون عن آياته و آلائه.

و يلعب الاستفهام دورا هاما و كبيرا نظرا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام و خصائصه و لأنه يخدم مقاصد الخطاب و يلعب دورا أساسيا في الإقناع بالحجة.

[1] ابن كثير،تفسير القرآن العظيم، ص 1258.

خـــــاتمة

الحجاج من ضرورة حتمية و الية لابد منها في جميع مجالات الحياة (إعلام، سياسة، دعاية) إذ لا غنى عنه ولا مفر منه في طرائق الإقناع التي يسلكها المتكلم.

– أهم شيء يقوم عليه الحجاج هو تقديم الطروحات التي تدعو العقول إلى التدبر الموضوعي و الواعي في القضايا المتقدمة.

–النضج الذي عرفته المجالات المعرفية المختلفة من منطق و لسانيات و علم النفس و البلاغة، جعلت من الدراسات الحجاجية تحظى بأهمية كبرى و هذا الاهتمام نابع من استلهام الموروث البلاغي و الكلامي العربيين.

–شهد الدرس الحجاجي ازدهار في الفترة اليونانية (سفسطائيين– أرسطو– سقراط– أفلاطون) فاحتضنت فن الجدل و المنطق و البلاغة نشأة مبحث الحجاج في الفكر اليوناني القديم، و ظهرت معارفه مع أعلام الفكر اليوناني.

– ظهر الحجاج في التراث البلاغي العربي مرادف للجدل واستخدام كل من المصطلحين مترادفين في التراث العربي الاسلامي.

– ظهرت دلالة الحجاج في القران الكريم بمعان مختلفة كالحوار، الجدل، المناظرة.

– تعددت الأساليب و الأليات الحجاجية في النص القرآني بين ما هو بلاغي، و لغوي، خاصة الاستفهام الذي يكسب النص درجة عالية من الاقناع.

– اشتملت سورة الأنبياء على الاستفهام ورد في 21 موضعا، معظمه تم بالأداة و الهمزة.

– اشتملت أيضا السورة الكريمة على وسائل عدة من صور الاقناع و التأثير، فجاءت قصص الأنبياء فيها كوسيلة للتمثيل بقصد الاقناع في المتلقي (قصة سيدنا محمد (ص)، إبراهيم...).

– تتميز السورة الكريمة عن غيرها من السور المكية بإبراز كلمة التوحيد التي نزا بها القران الكريم.

– الاستفهام هو طلب المعرفة حول شيء معين و له دور كبير في العملية الحجاجية، نظرا لما يعمله من جلب القارئ و التأثير عليه و استمالة و يلعب دورا هاما و أساسيا في الاقناع بالحجة.

– يعتبر الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية ورودا في القران الكريم.

- تعد الهمزة أكثر الأدوات و أشهرها استعمالا في القران الكريم و خاصة ما يتعلق بالحجاج.
- معظم الأساليب التي وظفت في الاسورة عبارة عن استفهام انكاري و انكاري توبيخي.
- خروج الاستفهام عن غرضه الأصلي، كخروجه إلى الى الأمر مثلا.

قائمة المصادر والمراجع

***القران الكريم**

أولا: باللغة العربية

2. أرسطو طاليس ، الخطابة ، تحقيق عبد الرحمان بدوي ، دار القلم ، بيروت ، دط،1979.
3. باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة د/ أحمد الوردني ، دار الكتاب الجديد ، ط1، 2009.
4. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القران، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث، القاهرة، دط.
5. ابو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، المغرب ، ط1 ، 2006.
6. جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الأشياء و النظائر في النحو، تحقيق: عبد العالي سالم مكرم، بيروت، ط1، 1406هـ-1985م.
7. جمال الدين ابن مالك ، شواهد التوضيح و التصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، دط .
8. جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب، القاهرة، دط،2000.
9. الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1404هـ-1984.
10. حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء4.
11. حافظ إسماعيل علوي، الحجاج، مدارس وأعلام، الجزء الثاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
12. حمادي صمود، اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، من ارسطو الى اليوم، منشورات كلية الاداب، منوبة، 1998.
13. أبو حيان ، البحر المحيط ، بيروت ، دار الفكر ، 1992 –ج7.
14. خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الطبعة1، 2009.

15. عبد الرحمان طه، اللسان و الميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.
16. عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، بيروت، د ط، 1970م.
17. عبد القاهر الجرجاني: " دلائل الإعجاز"؟، مؤسسة و الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 20058.
18. عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه و إعرابه، الشام، ط1 ، 1461هـ 2000م ،.
19. عبد الله صولة، الحجاج في القران الكريم، من خلال اهم خصائص الاسلوبية، دار الفرابي، بيروت، الطبعة2، 2007.
20. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط ، ج1.
21. علي حسم مزباي، الأساليب النحوية في ضوء القران الكريم دراسة نحوية دلالية، دار أساريا للطباعة و النشر، ليبيا، 2001م.
22. عماد الدين ابو الفداء ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 1460هـ - 2000م.
23. ابن فارس ،مقاييس اللغة ، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ،دمشق،دط،ج2.
24. ابن فارس أحمد الصاحبي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ،
25. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، دار الفكر، الطبعة1، 1981.
26. الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، الجزء1، الطبعة3، 1983.
27. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار حياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.
28. ابو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق الترتيل و عيوب الاقاويل في وجه التأويل، تح الشريف علي بن محمد علي السيد وأحمد بن محمد الاسكندري، دار الفكر بيروت، ج1،دط
29. ابن قتيبة الكوفي الدينوري، أدب الكاتب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، مصر ، 1382 – 1963 م ، مطبعة السعادة .

30. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي و اخرون، مج14، دط.
31. قطبي الطاهر ، الاستفهام النحوي ، الجزائر، دط، 1992.
32. مجدي الكيلاني، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر، دار التنوير،ط1 ، 2008 .
33. محفوظ لمهابة ، الحجاج دراسة مصطلحية ، مجلة اللغة العربية ، دمشق ، ع 71 ، ج3 ، ص 139
34. محمد سالم محمد الأمين الطلية، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط 1، 2008.
35. محمد عبد العظيم الزرقاني، " مناضل العرفان في علوم القران" نشر و طبع الحلبي، مصدر، ط2، الجزء2، 1963م.
36. محمد عبد الله دراز، "النبأ العظيم" نظرات جديدة في القران، دار القلم، الكويت، ط4، 1977.
37. محمد علي التهاوني ،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون،تحقيق: علي دحروج، لبنان،ط1،ج1.
38. محمود السيد حسين ، روائع الإعجاز في القصص القرآني ، دراسته في خصائص الأسلوب القصصي المعجز ، المكتب الجامعي الحديث ، محطة الرحل ، الاسكندرية .
39. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث الانساني العربي ، دار التنوير، ط1.
40. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة حجج، دار صادر، بيروت، مج2، الطبعة1، 1997.

ثانيا: باللغة الاجنبية

41. Le grand robert, dictionnaire de la langue francaise,1ere édition, paris, 1990,p65.
42. Longman,dictionary of contemporary english,Longman 1989,p34.

ثالثا: المجلات والدوريات

43. 1-اعراب حبيب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، مجلةعالم الفكر ،العدد1، مج30،2001.

44. 2-عبد الحميد بن عيسى، البيان الحجاجي في اعجاز القران الكريم، سورة الانبياء انموذجا، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد102، 2006.

45. 3-مسعودي الحواس ، البنية الحجاجية في القرآن الكريم ، سورة النحل انموذجا ، مجلة اللغة و الأدب ، معهد اللغة العربية و آدابها ، العدد 12 ديسمبر 1997.

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير .....

مقدمة: .....أ

مـدخل تمهيدي **4**

أولا: تعريف القرآن الكريم **6**

ثانيا: تعريف الاستفهام **8**

ثالثا: آلية الحجاج الاستفهامي في القران الكريم **10**

الفصل الأول

حجاجية الاستفهام في لغة القرآن الكريم

تمهيد: **14**

أولا: أسلوب الحجاج **16**

1- مفهوم الحجاج:.....**16**

2- الحجاج عند العرب :.....**22**

3- الحجاج عند الغرب: **26**

4- أنواع الحجاج: **32**

ثانيا: أسلوب الاستفهام **35**

1- مفهوم الاستفهام: **35**

2- أدوات الاستفهام : **36**

3- غايات الاستفهام: **42**

4- أهمية الاستفهام: **45**

ثالثا: حجاجيه الاستفهام و أبعادها الدلالية في القرآن الكريم:.....46

الفصل الثاني

حجاجية الاستفهام في سورة الانبياء

أولا: البنية الحجاجية لسورة الأنبياء.....51

ثانيا: نماذج عن حجاجيه الاستفهام في سورة الأنبياء.....54

خـــاتمة.....66

قائمة المصادر والمراجع.....70

فهرس الموضوعات.....75

تم بحمد الله